الأمثال

في القرآن الكريم

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة
رمضان ١٤٣٨هـ – حزيران – يونيو ٢٠١٧م
لبنان – طرابلس

يوزع مجاناً وصدقة عن روح المرحومين بإذن الله تعالى
السيد محمد مدحت كبارة
الدكتور محمود إبراهيم خليل
السيدة يسرا أحمد داوود
وعن سائر أموات المسلمين والمسلمات

الأمثال
في القرآن الكريم

جمع وإعداد
المهندس / عامر محمد مدحت كبارة

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

أهدي هذا العمل إلى كل مسلم ومسلمة، وإلى كل من يُحبُّ أن يَفهم ويتدبَّر في معاني الأمثال في القرآن الكريم، كـما أُهديـه إلى الوالديـن الكريمين، وعائلتـي الكريمة، والأصدقـاء الأجـلَّاء، والشـكر والتقديـر موصول إلى الأسـتاذ الصديق محمد عماد قلب اللوز، الذي قام بجهد مشكور في تدقيق هذا الكتاب ومراجعته.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

مدخل الكتاب

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ الكهف: ٥٤.

بيَّن الله سبحانه في القرآن للناس من كلّ مَثل، وعبَّر عن التبيين بالتصريف؛ للإشارة إلى تنوُّع الأمثال؛ ليتفكر فيها الإنسان من جهات مختلفة، ومع ذلك ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ أي منازعة ومشاجرة دون أن تكون الغايةُ الاهتداءَ إلى الحقيقة.

قال العلماء: ضربُ الأمثال في القرآن يُستفاد منه أُمورٌ كثيرة: التذكير، والوعظ والحَثُّ، والزَّجر، والاعتبار، والتقرير، وتقريب المُراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس، فالأمثال تُصوِّر المعاني بصورة الأشخاص أو بصورة مخلوقات أخرى كالبعوض والشجر؛ لأنّها أَثْبَتُ في الذهن؛ وذلك لاستعانة الذهن فيها بالحواس.

وتأتي بعض أمثال القرآن أيضاً مشتملة على: بيان تفاوت

الأَجْر، وعلى المدح والـذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمرِ أو تحقيرِه، وعلى تحقيق أمرٍ أو إبطالِه.

ولا يخفى على مَن اطَّلع على أمثال القرآن أنها مِن علوم القرآن المهمة؛ ولذلك يجب على المسلم فهمُها وإدراك الغاية منها كما أراد الله سبحانه وتعالى. كما يجب أن نحاول – ما استطعنا – إضافةَ أسلوب ضرب الأمثال في الدعوة والشرح لتقريب المعاني بصورة المحسوسات، ولا شكَّ في أنَّ الشباب من الجيل الجديد هم أشدُّ حاجة لذلك.

وقد مَنَّ الله عليَّ فقرأتُ في عِدَّة كتب مُعاصرةٍ عن الأمثال في القرآن الكريم وتفسيرِها -كما هو مُبَيَّن في المراجع- فقمتُ بتلخيص بعضِها، ومقارنة البعض الآخر بما قاله وفسَّره هؤلاء العلماء في كتبهم المذكورة؛ وذلك لتتمَّ الاستفادة من هذه المعاني والتفاسير عندما نقرأ القرآن الكريم؛ لأنه قد يُشْكِل على البعض -وخاصة الجيل المعاصر- والعامه تفسيرُ وفهمُ المعنى الحقيقي من وراء ذِكْر هذه الأمثال.

وقد وجدتُ أنَّ هناك اجتهاداتٍ مختلفةً من العلماء حول الآيات التي يجري عليها مَجْرى المثل، فمنهم مَن اعتبر أنَّ في القرآن الكريم أربعين مثلاً، ومنهم من زاد على ذلك، فقُمتُ بجمع هذه الاجتهادات والتفسيرات، فبلغتْ ستةً وستين مثلاً، ثم ذكرتُ

معاني الكلمات وتفسيرَ الآيات لهذه الأمثلة.

وإنني أنصح بقراءة تفسير هذه الأمثال عند وُرودِها في أثناء تلاوة القرآن الكريم؛ لتتوضح الصورة، ويكتمل المعنى المراد، ويسهُل الفهم؛ لأن شرح بعض الأمثال يعتمد على الآيات التي قبلها أو التي بعدها، وعلى أسباب نزول الآيات والسور، كما هو موضَّحٌ في كتب التفاسير المختلفة.

كما ينبغي التنبيهُ أيضًا إلى أن هذه الشروحات هي اجتهادات من العلماء في المقام الأول، والله أعلم بمقاصدها، وقد قمتُ بمحاولةٍ للفهم والنقل بتصرف والتبسيط ما استطعت، وقد قام بمراجعتها وتصحيحها الأستاذ محمد عماد قلب اللوز -حفظه الله وجزاه كل خير-.

فما كان من صواب فلله الحمدُ، ومِن ثَمَّ للعلماء الأفاضل، وأرجو أن أكون قد وُفِّقت في هذا التبويب والشرح المُبسَّط لتسهيل قراءة وفهم الأمثال في القرآن الكريم، ونستغفر الله من أيِّ خطأ غيرِ مقصود، والله المُستعان، وهو وليُّ التوفيق.

أولاً :
المقدمة

الأمثال:

المَثَلُ في اللغة:

يظهر من غير واحد من المعاجم كلسان العرب، والقاموس المحيط أن لفظ «المثل» له معانٍ مختلفة كـ:

* النظير، * الصفة، * الشبيه، * العبرة، * ما يجعل مثالاً لغيره يُحذا عليه.

ولكن الأنسب من هذه المعاني هو «**كون الشيء نظيرًا للشيء**».

وقال الرازي: إن المقصود من ضرب الأمثال أنها تؤثر بالقلوب ما لا يؤثره وصف الشيء نفسه؛ وذلك لأن الغرض في المَثَل تشبيه الخفيِّ بالجليِّ والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيَّته، ويصير الحِسُّ مطابقًا للعقل، وذلك زيادة في الإيضاح.

وقال أحد الأدباء: يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام:

* إيجاز اللفظ.
* إصابة المعنى.
* حسن التشبيه.
* وجودة الكناية.

وهذا كله نهاية البلاغة.

ولا يخفى أن الأمثال ليست من خصائص العرب فحسْب، بل لـكل قوم أمثالٌ وحكم يقرِّبون بها مقاصدهم إلى أفهام المخاطَبين ويبلِّغون بها حاجاتهم.

وقد جاء التصريح بالمَثل في القرآن الكريم في خمس عشرة آية كما يلي:

١. ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ الإسراء: ٨٩.

٢. ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ الكهف: ٥٤.

٣. ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ النحل: ٦٠.

٤. ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ الروم: ٢٧.

٥. ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ الروم: ٥٨.

٦. ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الزمر: ٢٧.

٧. ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ الرعد: ١٧.

٨. ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ إبراهيم: ٢٥.

٩. ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ إبراهيم: ٤٥.

١٠. ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ النور: ٣٥.

١١ . ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٣.

١٢ . ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الحشر: ٢١ .

١٣ . ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ محمد: ٣.

١٤ . ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ النور: ٣٤.

١٥ . ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الفرقان: ٣٣.

أما الأمثال بحد ذاتها فإنه سوف نقوم بشرحها لاحقاً (وهي حوالي ٦٦ مثلاً).

الفرق بين المثيل والشبيه والنظير:

المماثلة (بين شيئين) تَثْبُت بالاشتراك في جميع الأوصاف، ولو اختلفا في وصف واحد انتفت المماثلة، وقد يكون شبيهُ الشيء غيرَ مماثل له في جميع الأوصاف، والنظير قد لا يكون مشابهًا.

وقد ذكر السيوطي أن المثيل أَخَصُّ الثلاثة، والشبيه أعمُّ من المثيل وأخصُّ من النظير، والنظير أعمُّ من الشبيه. أما المماثلة فإنها تستلزم المشابهة وزيادة، والمشابهة لاتستلزم المماثلة، فلا يلزم أن يكون شبيه الشيء مماثلَه، والنظير قد لا يكون مشابهًا، وحاصل هذا الفرق أن المشابهة تقتضي الاشتراك في أكثر الوجوه (لا كلها)، والمناظرة تكفي في بعض الوجوه ولو وجهًا واحدًا، يقال: هذا نظير هذا في كذا، وإن خالفه في سائر جهاته.

أما اللغويون فلقد جعلوا المثيل والشبيه والنظير بمعنى واحد.

ونرى القرآن الكريم ينفي المِثْل لله، يقول عز من قائل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الشورى/ ١١.

وهو يثبت له المَثَل في آية أخرى ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ النحل/ ٦٠.

والجواب: أنه لا تناقُض بين نفي «المِثْل» لله وإثبات «المَثَل»

لـه، أما «المِثْل» (من آية: ١١ سـورة الشـورى) فالله سـبحانه هو واجـب الوجـود، الموجود بالأزل، والباقي إلى الأبد، لا شـبيه لله ولا نظير ولا مثيل ولا نِدَّ.

وأما قوله سـبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ فمعناه أنه سبحانه مُنزَّه عن أن يوصَف بصفات مذمومة وقبيحة كالظلم مثلًا حاشاه. وفي الوقت نفسـه فهو موصوف بصفات حسـنى ومحمودة. وقد أشـار الله سـبحانه إلى ذلك في غير واحد من الآيـات أيضًا حيث قال: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الروم/ ٢٧، وقال أيضًا: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ طه/ ٨. أي: الأحسن.

وأما «المَثَل» في الآية الثانية (آية: ٦ سورة النحل) وما يشابهها فهو بمعنى ما يوصف به الشيء ويُعبَّر به عنه من صفات وحالات وخصوصيات معينة.

أقسام المَثَل:

قـد عرفنـا أن المَثَل عبـارة عن إعطاء منزلـة شيء لشيء آخر (تشبيه)، وهو على أقسام:

أ -المثل الرمزي: وهو ما يُنقل عن لسـان الطيور والنباتات والأحجـار بصورة الرموز والتعْمِيَـة، ويكون كنايةً عن معـانٍ دقيقـة، ومِن هـذا النوع مـن المثل كتـاب «كليلة ودمنة» لابن المقفع.

وهناك مَن جعل تشبيهات القصص القرآنية كلها من هذا القبيل، أي: هي رمز لحقائق علوية «ربانية» دون أن يكون لها واقعة وراء الذهن، وبذلك يفسرون قصة سيدنا آدم مع الشيطان «إبليس» وغَلَبَةَ الشيطان عليه، أو «قصة هابيل وقابيل»، أو تكلُّم «النملة» مع سيدنا سليمان عليه السلام، وغيرها من القصص.

وهذه المحاولة تُضادُّ صريح القرآن الكريم؛ فإنه يصرح بأنها قصص تحكي عن حقائق غيبية لم يكن يعرفها النبي محمد ﷺ ولا غيره، لقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يوسف/ ١١. فالآية صريحة في أن ما جاء في القصص ليس أمرًا مفترى، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن القرآن الكريم بأجمعه هو الحق الذي لا يُدانيه الباطل.

ب- المثل القصصي: وهو بيان أحوال الأمم الماضية بُغْيَةَ أخذ العِبَر للتشابه الموجود بين الأمم العابرة والأمم الحاضرة، والقصص الواردة في أحوال الأمم العابرة التي يعبر عنها بقصص القرآن هي تشبيه مصرَّح (معلن) وتشبيه كامن (ضمني)، والغاية منها أخذ العبرة.

مثل: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ ﴾ سبأ/ ١٥. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ سبأ/ ١٩.

وتتكلم هذه الآيات عن مملكة سبأ ذات النعم الوارفة، وبيان كفرهم لهذه النعم وجحودهم لشكر الله، وانتقام الله منهم ومجازاتهم.

ج- المثل الطبيعي: وهو عبارة عن تشبيه غير الملموس بالملموس، والمتوهَّم (المتخيل) بالشاهد (الحاضر، البرهان، الدليل)، ويضاف شرط للمثل الطبيعي الوارد في القرآن الكريم بأنه يجب أن يكون المشبَّه به من الأمور التكوينية، مثل قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يونس/ ٢٤.

ومن جانب آخر فالمثل عبارة عن كلام أُلقيَ في واقعة لمناسبة معيَّنة اقتضت إلقاء ذلك الكلام، ثم جرى عبر الزمان على الوقائع التي هي على غرار مناسبته الأولى، كما هو الحال في عامة الأمثال. وعلى هذا فـ «المثل» -بهذا المعنى- غير موجود في القرآن الكريم؛ لأنه لا مناص من تفسير المثل في القرآن الكريم بمعنى آخر، وهو «المثل القياسي» الذي يعرض له علماء البلاغة واللغة في علم البيان.

الأمثال القرآنية: هناك الكثير من الآيات القرآنية التي اشتملت على الأمثال، وقد ضرب سبحانه وتعالى بها مثلًا للناس للتفكير والعبرة، قال سبحانه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الحشر/ ٢١.

وقد امتازت صيغة المثل القرآني بأنها لم تُنقَل عن حادثة معينة، أو واقعة متخيَّلةٍ، وإنما ابتُدع المثلُ القرآني ابتداعًا دون حَذْوٍ احتذاه، وبلا مورِد سبقه، فهو تعبير فنيٌّ جديد أبدعه القرآن حتى أصبح منفردًا في الأداء والتركيب والإشارة.

وعلى هذا فـ «المَثَلُ» في القرآن الكريم ليس من قبيل «المَثَل الاصطلاحي» أو «الرمزي» أو نسج ما يعادله لفظًا ومعنى، بل هو نوع آخر أسماه القرآن «مثلاً» من قَبل أن تعرِف علومُ الأدب «المَثَل»، والأمثال القرآنية تدور كلها بين كونها تمثيلًا «قصصيًّا» أو تمثيلًا «طبيعيًّا كونيًّا»، وإنما «بتعبير قياسي».

الأمثال القرآنية وانسجامها مع مكان نزولها:

نزلت الأمثال القرآنية لهداية الناس؛ ولذلك روعي فيها الغايات التي نزلت لأجلها، فتجدُ أن الطابع «المكي» يعلو هامة الأمثال للآيات التي نزلت بمكة، فكانت دائرة معالجة العلل التي ابتلى بها المجتمع المكي في ذلك الوقت، لاسيَّما وأن النبيﷺ كان يجادل المشركين ويُسفِّه أحلامَهم ويدعوهم إلى الإيمان بالله الواحد الأحد، وترْك عبادة غيره، والإيمان باليوم الآخر، ففي خِضَمِّ هذا الصراع يأتي القرآن بأروع «مَثَل»، ويشبِّه آلهتهم المزعومة التي تمسكوا بأهدابها «ببيت العنكبوت» الذي لا يُظهر أدنى مقاومة أمام النسيم الهادئ وقطرات المطر وهبوب الرياح، حيث قال سبحانه: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ﴾ العنكبوت/ ٤١. وقال أيضًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ الحج/ ٧٣.

كانت قريش تعبد ٣٦٠ إلهًا (صنمًا) يطْلونها بالزعفران فيجِفُّ فيأتي الذباب فيختلِسه فلا تستطيع هذه الآلهة الدفاع عن نفسها، وفي هذا الصدد قال سبحانه: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ أي الذباب وآلهتكم...

ولقد مضى على الناس أربعة عشر قرنًا وما يزال هذا «المثل القرآني» يتحدى كل جبروت وعبقرية العلماء، وما يزال الذين غرَّهم الغَرور بما حقق إنسان العصر الحديث من معجزات العلم عاجزين أن ينسخوا ذلك بأن يجتمعوا فيخلقوا ذبابًا أو يستنقذوا شيئًا سلبتهم إياه هذه الحشرة الضئيلة.

هذا في مجال الردِّ على عبادتهم للأوثان والأصنام، أما في مجال رُكُونِهم إلى الدنيا والإعراض عن الآخرة فيعرِض سبحانه مثلًا يشير فيه إلى الدنيا بأنها ظِلٌّ زائل، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يونس / ٢٤.

وأما الأمثال التي نزلت في «المدينة» فنجدُ فيها الطابع المدنيَّ؛ لأنها بصدد علاج العلل التي ابتلي بها المجتمع المدني يوم ذاك، وهي العلل الخُلُقيَّة مكان الشرك والوثنية أو مكان أفكار الحياة الأخروية؛ فلذلك ركز العرض على معالجة هذا النوع من العلل بالأمثال التي تطرَّقت في آيات كثيرة منها إلى المنافقين، وبيَّنت موقفهم من الإسلام والمسلمين، فتارة يضرب الله سبحانه لهم مثلًا بالنار، وأخرى بالمطر، إلى ما هنالك، يقول سبحانه: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ

فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧ صُمُۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ البقرة/ ١٧-١٩.

وكان المجتمع المدني يضمُّ في طيَّاتِه طوائفَ ثلاثًا من اليهود، وهم: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، وقد جُبلوا على المكر والحيلة والغدر، وكانوا يقرؤون سِماتِ النبي ﷺ في توراتهم ويمرون عليها مرور الأُمِّيِّ الجاهل الذي لا يقرأ ولا يكتب، وهذه السِّمةُ أدت إلى أن يشبههم الله سبحانه «بالحمار» الذي يحمل أسفارًا (كتبًا) قيِّمة دون أن يستفيد شيئًا منها، يقول سبحانه: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الجمعة/ ٥.

أما المسلمون الذين عاصروا النبي ﷺ فكانوا بحاجة إلى هداية إلهيةٍ تُصلح أخلاقهم؛ فقد كان البعض منهم ينفقون أموالهم رئاء الناس دون ابتغاء مرضاة الله، أو ينفقونها على الفقراء بالمَنِّ والأذى، فنزل الوحي الإلهي بمثل خاصٍّ يبين موقف المنفق في سبيل الله والمنفق بالمن والأذى أو رئاء الناس، وقال سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ

عَلِيمٌ﴾ البقرة/ ٢٦١.

وحصيلة البحث أنه لا بُدَّ في أيِّ تشبيه من **مشبَّه، ومن مشبَّه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه**، هذه هي أركان التشبيه، فإذا قلت مثلًا: «علي كالأسد في الشجاعة» هذا التشبيه من الصور البيانية، وعلي مشبَّه، والأسد مشبَّه به، والأداة هي الكاف، ووجه الشبه هو صفة الأسد بالشجاعة، وقد تحذف أداة التشبيه ووجه الشبه، وعندئذ يكون التشبيه بليغًا مثل: «علي أسد».

وبالتالي فإن التمثيل (التشبيه) الوارد في (آيات) القرآن الكريم:

أ- مرة يقترن بكلمة «المثل» مثال: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ هود/ ٢٤.

ب- أو يقترن به مع لفظ «ضرب»، «يضرب» حيث اختار سبحانه مادة الضرب لقِسم كبير من أمثال القرآن، ومعناه «إيقاع شيء على شيء، ووصفُه، وجعلُه ينتشر ويَذيع ويسير في البلاد»، ويستفاد منه أمور كثيرة منها: التذكير والوعظ والحثُّ والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل، إلى ما هنالك، مثاله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا

﴿كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ النحل/ ١١٢.

يصوِّر الله سبحانه وتعالى أهل قرية أنعم الله عليها بالأمن والاطمئنان والسلام والخير الوفير فبطرت بأَنعُمِه ونسبوا فضلها لغير الله وكفروا به، فسلَّط عليهم الله سبحانه وتعالى البلاء، وشملهم الجوع والخوف لكافة جوانب حياتهم فصار لهم كـ «اللباس».

ج- أو يدخل على الكلمة كاف التشبيه أو «كذلك» مثال: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ الأعراف/ ٥٨.

إن هذا مَثَلٌ ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر، فأخبر بأن الأرض كلها جنس واحد، إلا أن منها «أرض طيبة» خصبة تلين بالمطر ويحسن نباتها ويكثر ريعها، ومنها «أرض سَبْخَة» لا تُنْبت شيئًا، وإن أنبتت فلا منفعة فيه.

وكذلك القلوب كلها لحم ودم، ثم إن منها ما هو ليِّنٌ يقبل النصح، ومنها ما هو قاسٍ جافٍ لا يقبل النصح والوعظ...

د- أو يذكر مادة المَثَل دون اقتران «مثل» أو «كـ» التشبيه وغيرها، مثاله قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ التوبة/ ١٠٩.

وهنا يكمُن تفسير «المثل الكامن» (المثل المستتر) بالأمثال التي وردت في (القرآن الكريم) من دون أن يقترن بكلمة «مثل» أو «كـ» التشبيه، ولكنه في الواقع تمثيل رائع لحقيقة عقلية.

أي: إنه سبحانه شبه «بنيان المنافقين» (أي أعمالهم في الحياة الدنيا) بالبناء على جانب نهر هذه صِفَتُه، فكما أنَّ مَن بنى على جانبٍ من هذا النهر فإنه ينهار بناؤه في الماء عند أيِّ مطر ولا يثبت، فكذلك بناء (أعمال) هؤلاء (المنافقين) ينهار ويسقط في نار جهنم. والله أعلم.

ثانياً:
الأمثال في القرآن الكريم

المثل الأوّل:

سورة البقرة (مدنية): وترتيبها السورة الثانية في المصحف الشريف

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

معاني الكلمات:

- لَقُوا۟: من اللقاء، والملاقاة هي المواجهة وجهًا لوجه.
- خَلَوْا۟ : انفردوا.
- شَيَٰطِينِهِمْ : كل مَن يُفسد ولا يصلح من إنس أو جان (والمراد هنا رؤساؤهم في الكفر والشر والفساد).
- مُسْتَهْزِءُونَ : خادعون لهم – نسخر منهم.
- وَيَمُدُّهُمْ: من المَدد، أي: العَون، وهي هنا بمعنى أمدهم في غيهم، أو أمهلهم.

- طُغْيَٰنِهِمْ : مجاوزة الحدِّ والإسراف فيه.

- يَعْمَهُونَ : من العَمَهِ للقلب كالعمى للبصر، أي: عدم الرؤية وماينتج عنه من الحَيرة والضلال.

- ٱشْتَرَوُا۟ : استبدلوا (أي: تركوا الإيمان وأخذوا الكفر).

- ٱلضَّلَٰلَةَ: الانحراف عن الطريق الصحيح، وتأتي بمعنى الهلاك، والباطل.

- بِٱلْهُدَىٰ : السيرة والطريقة الصحيحة، وهي أيضًا بمعنى الإرشاد والدلالة. والمُهتدي: السالك سبيلًا قاصدُهُ يصلُ به إلى ما يريد.

- تِّجَٰرَتُهُمْ : التجارة: دَفْعُ رأسِ المال لشراء ما يربح. والمنافقون هنا دفعوا رأس مالهم وهو الإيمان لشراء الكفر آمِلينَ أن يربحوا عزًّا وغنًى في الدنيا، فخسروا؛ إذ ذَلوا وعُذِّبوا وافتقروا بكفرهم.

- مَثَلُهُمْ : صفتهم وحالهم.

- ٱسْتَوْقَدَ نَارًا : أي: أوقد نارًا.

- ظُلُمَٰتٍ : السواد وغياب النور، وهنا بمعنى ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة المطر.

- يَرْجِعُونَ : يعودون عن الكفر إلى الإيمان.

تفسير الآيات:

افتتح سبحانه كلامَه في سورة البقرة بشرح حال طوائف ثلاث: المؤمنين، الكافرين، المنافقين. وقد بدأ كلامه سبحانه بأن المنافقين هم الذين يتظاهرون بالإيمان ويُبْطنون الكفر ليحْقِنوا دماءَهم ويحفظوا أموالهم فقط... وهذا يدل على بؤرة الخطر.

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾، والمراد أنّه سبحانه يجازيهم على استهزائهم وخداعهم للمؤمنين ويُمهِلُهم في غَيِّهم ليزدادوا ضلالة وعمى ليعقابهم بعد ذلك أشد العقاب. ثمَّ إنّه سبحانه يفصِّل حالهم بقوله: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾. ثمّ وصفهم بالمثل الآتي:

نفترض أنَّ أحدًا ضلَّ في الصحراء وسط ظلام دامس، وأراد أن يقطع طريقه دون أن يتخبّط فيه (في عشوائية)، ولا يمكن أن يهتدي - والحال هذه - إلَّا بإيقاد النار ليمشي على ضوئها ونورها ويتجنب المزالق الخطيرة، وما إن أوقد النار حتى باغتته ريحٌ عاصفة أطفأت ما أوقده، فعاد إلى حيرته الأولى.

فحالُ المنافقين كحال هذا الرجل، بحيث يُحتَمَل:

أ - أنّهم آمنوا بادئَ الأمر واستناروا بنور الإيمان ومشوا في ضوئه، لكنّهم استبدلوا الإيمان بالكفر (نتيجة غِواية أصحابهم

ورؤسائهم وشياطينهم) فعمَّهم ظلامُ الكفر فلا يهتدون سبيلاً.
(وهذا رأي ابن كثير).

ب – ويُحْتمل عدم إيمانهم منذ البداية، فالنار التي استوقدوها في هذه الحالة ترجع إلى نور الفطرة الذي كان يهديهم إلى طريق الحق، ولكنّهم أخمدوا نورها بكفرهم. (وهذا رأي ابن جرير).

ومقتضى المثل أن يهتدي المنافقون بنور الهداية (هداية الإرشاد) فترةً من الزمن ثمَّ ينطفئُ نورها بإذن الله سبحانه (بسبب نفاقهم)، وبالتالي يكونون عندها صمًّا بكمًا عميًا لا يهتدون (هداية التوفيق)، فالنار التي اهتدى بها المنافقون (بداية) عبارة عن نور القرآن، وسنّة الرسول ﷺ، ولكنهم تمرّدوا على الله بنفاقهم، ففقدوا كل استعداد للاهتداء، فخرجوا عن كونهم أهلًا للتوفيق والتسديد، فَأَوْكَلَهم الله سبحانه إلى أنفسهم الأمَّارة بالسوء وأهوائهم الخبيثة، وعمَّتهم ظلماتُ الضلال بسوء اختيارهم. قال سبحانه: ﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾، والمراد من تعطيل حواسِّهم أنّهم لم يكونوا ينتفعون بهذه الحواس التي بها تُعرف الحقائقُ، فما كانوا يسمعون آيات الله بحقٍّ، ولا ينظرون إلى الدلائل الساطعة للنبوة إلَا من خلال الشك.

وممّا يدل على أنّ المنافقين آمنوا بالله ورسوله في بادئ الأمر ثمّ طغى عليهم وَصْفُ النفاق قولُه سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾ المنافقون:٣.

وممّا يدل على أنّ الإسلام نور ينوِّر القلوب والأنفس قولُه سبحانه: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ الزمر/ ٢٢.

وأمّا الظُّلمة التي تحيط بهم بعد النفاق وتجعلهم صمًّا بكمًا عميًا، فالمراد ظُلُمات الضلال التي لا يُبصرون فيها طريقَ الهدى والرشاد، والله أعلم.

المثل الثاني

سورة البقرة (مدنية):

﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ
فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ
يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ
ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠ ﴾.

معنى الكلمات:

- كَصَيِّبٍ : المطر، وكلُّ نازل من علوٍّ إلى أسفل.

- ٱلصَّوَٰعِقِ: جمع صاعقـة - نار هائلة تنزل أثنـاء لمعان البرق، ولها صوت عظيم (الرعد).

- حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ : تَوَقِّيًا من الموت.

- يَخۡطَفُ: يَستلِب وينتزع بسرعة، وهنا جاءت بمعنى يُعمي.

- قَامُواْ: معناها هنا: ثبتوا متحيِّرين.

تفسير الآيات:

نفترض أنّ قومًا كانوا يسيرون في الفلاة وسط أجواء سادها الظلام الدامس، فإذا بمطر من السماء يتساقط عليهم بغزارة، فيه رعد شديدٌ وبرقٌ لامِعٌ يكاد يُعمي الأبصار من شدته، وصواعقُ مخيفةٌ، فتولّاهم الرعبُ والفزع؛ ممّا دفعهم إلى أن يضعوا أصابعهم في آذانهم للحيلولة دون سماع ذلك الصوت المخيف خشيةَ الموت، فعندئذٍ وقفوا حيارى لا يدرون أين يولّون وجوههم، فإذا ببصيص من البرق أضاء لهم الطريق فمشوا فيه لفترة وجيزة، فلما ذهب ضوء البرق أحاطت بهم الظلمة مرة أُخرى فوقفوا وثبتوا متحيرين.

ونستخلص من هذا المشهد أنّ الهول والرعب والفزع والحيرة قد استولى على هؤلاء القوم فلا يدرون ماذا يفعلون، وهذه الحالة برُمَّتها تَصْدُق على المنافقين.

لقد أحاط الرعب والهلع بالمنافقين إثرَ انتشار الإسلام في الجزيرة العربية ودخولِ القبائل فيه وتنامي شَوكتِه، وهم يجدون ذلك بلاءً أحاط بهم، كالقوم الذين يصيبهم المطر الشديد من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق، وإليه أشار قوله سبحانه: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾، ولما كان النبي ﷺ يخبرهم عن المستقبل المظلم للكافرين والمدبِرين عن الإسلام والإيمان -خصوصًا بعد الموت- صار ذلك كالصاعقة النازلة على رؤوسهم، فكانوا يهربون من سماع آيات الله، ويحذرون من

صواعق براهينه الساطعة، مع أنّ هذا هو منتهى الحماقة؛ لأن صَمَّ الآذان ليس من أسباب الوقاية من أخذ الصاعقة ونزولِ الموت، وإلى ذلك يشير قوله سبحانه: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

كان النبي ﷺ يدعوهم إلى التوحيد، ويتلو عليهم الآيات البيّنة، فربّما كانوا يَعزِمون على اتّباعه، ولكن هذه الحالة لَمْ تَدُمْ طويلًا؛ إذ سُرعان ما يعودون إلى طاعة هوى النفس وطاعة رؤسائهم وتقليد الآباء، وإلى ذلك يشير قوله سبحانه: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْۚ﴾.

ثمّ إنّه سبحانه أعقب التمثيل بقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، أي: إنّه سبحانه قادر أن يجعلهم صمًّا وعميًا حتى لا تُجْدي فيهم هدايةُ هادٍ.

ملاحظة لطيفة:

المهمُّ تطبيق هذا المثل على منافقي عصرِنا، ومِن بني جِلدتنا؛ فدراسةُ حالِ المنافقين في عصرنا هذا من أهم وظائف العلماء والدعاة؛ فإنّ حقيقة النفاق واحدة، ترجع إلى إظهار الإيمان وإبطان الكفر لغاية الإضرار بالإسلام والمسلمين، وهم (المنافقون) يعيشون في خوف ورعب، وفي الوقت نفسه لا يرجعون عن ضلالهم وغواياتهم، فيجب التنبُّه إليهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والله أعلم.

المثل الثالث

سورة البقرة (مدنية):

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧﴾.

معاني الكلمات:

- يَسۡتَحۡيِۦٓ: من الحياء، وهو انفعالٌ يَعْتري الإنسانَ مِن تخوُّف ما يُعاب به ويُذمّ، يقال: فلان يستحيي أن يفعل كذا، أي: إنّ نفسَه تنقبض عن فعله، فكيف يمكن نسبته إلى الله سبحانه مع أنّه لا يجوز عليه الخوف ولا الذم؟ والجواب: إنّ إسناد الحياء إلى الله تعالى كإسناد الغضب والرضا إليه سبحانه، والمراد في الآية: لا يمنعه شيء عن إبراز ما هو حقٌّ في ضرب المثل.

- أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا: أن يجعل شيئًا مثالًا لآخرَ يكشف عن صفته

وحالِهِ في القُبْح أو الحُسْن.

-بَعُوضَةً : حشرة لها خرطومٌ أَجْوَفُ، وله قوّةٌ ماصَّةٌ تسحب الدم.

- ٱلْفَٰسِقِينَ : الخارجين عن طاعة الله ورسوله ﷺ.

- يَنقُضُونَ : من النَّقْضِ، أيْ: الحَلُّ بعد الإبرام.

-عَهْدَ ٱللَّهِ : ما عَهد به إلى الناس من الإيمان والطاعة له سبحانه ولرسوله ﷺ.

-مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ : من بعد إبرامه وتوثيقه بالحلف أو الإشهاد عليه.

-وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ: يُفسدون ما أمر الله به من إدامة الإيمان والتوحيد والطاعة وصلة الرحم... إلخ

تفسير الآيات:

ثَمَّةَ أسبابٌ لهداية طائفة (المؤمنين)، وأسبابٌ لضلال طائفة أُخرى (الكافرين)، وما هذا إلاّ لاختلاف التقبُّل، فمن استعد لقَبول الحقّ والحقيقة تصبح الآيات الإلهية بالنسبة إليه سببَ الهداية، وأمّا الطائفة الأخرى (المعانِدون) الذين صمّوا مسامعَهم فيُنكرون الآيات ويكفرون بها.

ويُحْتمل أنّ الآية ليست بصدد ضرب المثل بالبعوضة كضربه بالعنكبوت والذباب، بل هي خارجةٌ عن نطاق ضرب المثل

بالمعنى المصطلح، فيكون معناها بيانَ قدرتِه سبحانه وعظمتِه وصفاتِه. أو تكون بصدد بيانِ أنّ الله سبحانه لا يستحيي أن يَستَدِلَّ على قدرته وكماله وجماله بخَلْقٍ من مخلوقاته، سواءٌ أكانَ كبيرًا وعظيمًا كالسماوات والأرض، أو صغيرًا وحقيرًا كالبعوضة والذباب... فمعنى ضرب المثل هنا هو وَصفُه سبحانه بصفات القدرة الكاملة على الخلق.

والمؤمنون هم الذين قال الله سبحانه وتعالى في حقهم: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ أي يصدقون، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾، والظاهر أنّ قولَهم ذلك كان على سبيل الاستهزاء بادّعاء الرسولِ أنّ المَثَل وَحْيٌ مُنزلٌ من الله، وإلاّ فإنّ الكافرين والمنافقين كانوا يُنكِرون الوحيَ أصلًا.

ثمّ إنّ الظاهر من الآيات أنّ قوله سبحانه: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ لا صِلةَ له بكلام المُنكِرين؛ حيث إنّ الأمثال تؤثِّر في قوم دون قوم؛ ولهذا نَرى أنّ عندَ العالِمِ بآيات الله من اليقين والرسوخ ما لا يُوجد عند الجاهل المُعْرِضِ.

والفاسقون (المنافقون) هم الذين ينقُضُون كلَّ ميثاق قطعوه على أنفسهم، فلا بالخالق آمنوا، ولا مع الخَلْقِ صدَقوا. ثم إنهم -زيادةً على ذلك- يسعَون في الأرض فسادًا من إشعال الفتن،

والتَّرَبُّصِ بالمؤمنين، والمؤامرةِ على المسلمين، فَهُمْ حقًّا قد خسروا أنفسهم في الدنيا والآخرة. والله أعلم.

المثل الرابع:

سورة البقرة (مدنية):

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

معاني الكلمات:

- قَسْوَةً: التحجُّر والغِلظة التي لا تَرِقُّ ولا تَلِينُ.
- يَتَفَجَّرُ: يتفتَّتُ بعُنْفٍ مُحْدِثًا دَوِيًّا نتيجةَ ضغطٍ داخليٍّ.
- يَشَّقَّقُ: يصير بها فَلْقٌ وتَصدُّع وانقسام.
- يَهْبِطُ: يَقَعُ ويشعر بالذلِّ والنقص.
- وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ: من الغَفْلة، ومعناها: عدم الانتباه، أي: إن الله عالم بالذي تعملون ويحفظه لكم، وسيُجازيكم بأعمالكم في الدنيا والآخرة.

جاءت هذه الآية بعد قصّة البقرة التي أُمِر بنو إسرائيل بذبحها،

وقد كانوا يجادلون سيدنا موسى (عليه السلام) بُغْيَةَ التهرُّب من ذبحها. وكان ذبح البقرة لأجل تحديد هوية القاتل الذي قتل ابن عمّه غدرًا، فقال لهم موسى (عليه السلام): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾ البقرة/ ٦٧، ثم أُمِروا أن يضربوا المقتول ببعض البقرة حتى يحيا المقتول ويسمِّي القاتل، قال سبحانه: ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ البقرة/ ٧٣.

ومع رؤية هذه المعجزة الكبرى التي كان من المفروض أن تزيد في إيمانهم- قَست قلوبُهم ﴿فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾، وحيث إنّ الحجر معروفٌ بالصَّلابة والقساوة فقد شبّه سبحانه قلوبَهم بالحجارة، بل هي أشدّ قسوة، فكلمة (أو) -هنا- تعني: (بل).

وقد بيَّن سبحانه وَجْهَ شِدَّةِ قسوة قلوبهم أكثرَ من الحجارة بأُمور ثلاثة:

الأول: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾، وذلك كالعيون الجارية من الجبال الصخرية.

الثاني: ﴿وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُ﴾، كالعيون الحادثة عند الزلازل المُسْتَتْبِعةِ للانشقاق والانفجارِ الذي يَعْقُبُهُ جريان الأنهار.

الثالث: ﴿وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾، كهبوط الحجارة من

الجبال العالية إلى الأودية من خشـية الله. ولا مانع من أن يكون للهبوط عِلَّتان: علّةٌ طبيعية كالصواعق التي تصيب الصخـور، وعلّةٌ معنويـةٌ هي التي كشَـفَ عنها الوحيُ، وهي: الهبوط من خشية الله.

ثمّ إنّ ظاهر الآية نِسـبةُ الشعور إلى الحجارة؛ حيث إنّها تهبط (تَـذِلُّ) مـن خشـية الله، وهي تتكـوَّن مـن ذرات ذاتِ مَداراتٍ مُختلفـةٍ، وإلكترونات تطوف داخل هذه المسـارات، وهذه حقيقة علميَّة كشفَ عنها القرآن منذ أربعة عشر قرنًا. والله أعلم.

المثل الخامس

سورة البقرة (مدنية):

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١ ﴾.

معاني الكلمات:

- يَنْعِقُ: صوت الراعي لِغَنَمِهِ زَجرًا.

- دُعَآءً: هو -هُنا- بمعنى الاستدعاء.

- وَنِدَآءً: مصدر (نادى)، وهو أَخَصُّ من الدعاء؛ ففيهِ الجَهْر بالصوت لِجَلْب الانتباه، والمراد -هنا- طَلَبُ البعير ونحوِه.

تفسيرُ الآية:

وفي تفسير الآية وجوه:

الأول: الشيخ محمد رشيد رضا فسّر الآية على الوجه التالي وقال: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أي: صفتهم في تقليدهم لآبائهم ورؤسائهم كمَثل الذي لا يَسمع إلاّ دعاءً أو نداءً، أي كصفة الراعي للبهائم السائمة ينعق ويصيح بها في سوقها إلى المرعى ودعوتها إلى الماء وزجرها (إبعادها) عن الحِمى

(أراضي الغير)، فتجيب دعوته وتنزجر (وتبعد) بزجره بما أُلِفت من نعاقه بالتكرار، شبّه حالهم (الكفار) بحال الغنم مع الراعي، يعطلون قواهم العقلية ويكتفون بالتبعية في كل شيء من دون دليل أو فهم، حتى أصبحوا كالأنعام يسوقها راعيها كيفما شاء ولا تدري لِمَ نوديت ولِمَ فُصلت ولِمَ تُركت. ولا حول ولا قوة إلا بالله ، والله أعلم.

الثاني: أنّ الآية بصدد تشبيه الكافرين بالناعق (الراعي) الذي ينعق بالغنم، ولا يصحّ التشبيه عندئذٍ إلا إذا كان الناعق أصمّ، ويكون معنى الآية: إنّ الذين كفروا (أي: الذين لا يتفكرون في الدعوة الإلهية) كمثل الأصمّ الذي ينعق بما لا يسمع نفسه، ولا يميّز من نعيقه معنى معقولاً إلا نداءً وصوتاً بلا معنى.

وجه التشبيه: أنّ الناعق أصمّ، كما أنّ هؤلاء الكافرين ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾. وفي هذا المعنى المشبّه هو: الكافرون الذين لا يفهمون من الدعوة النبوية إلاّ صوتاً ودعوة فارغة من المعنى. (أي يصلهم الصوت ولا يدركون المقصود، انطمست منهم البصيرة فهم صم عن الهدى خرس عن الحق وعمي عن الصواب، لا يعرفون الرشاد ولا يوفقون للسداد) والله أعلم.

يقول الدكتور/ محمد راتب النابلسي: إنه من أكبر الأخطاء أن نتوهَّم أنَّ الفرق بين المسلم وغيرِ المسلم أن المسلم يصلِّي... هناك فرق بين مَن عرفَ اللهَ وبين مَن لم يعرفْه كما بين الأرض والسماء، فلو ذهبْنا نُحلِّل شخصيَّة المؤمن: إنسانٌ هادفٌ، في ذِهنه تصوُّرٌ

صحيحٌ عن الكون والحياة والإنسان، وهذا التصوُّر الصحيح جعله يسلُكُ سلوكًا صحيحًا، هذا الإنسان أمامَه هدفٌ واضحٌ، وهو الجنة.

على وجه الأرض آلافُ الملايين من البشر، كلٌّ منهم يتحرك لهدف في فكره، هذا يتزوج، وهذا يؤسِّس بيتًا، هذا ينال شهادة، هذا يجني أرباحًا إلخ... المؤمن هدفُه الآخرة، والسعيُ لها يُشْعره بالسعادة؛ حيث إن الله سبحانه وتعالى جعل كل هذه الأهداف -أهداف الملايين من البشر- تدخل في حقلين فقط: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ الليل/ ٥-٦. كلمات جامعة نافعة دقيقة؛ لأنه عندما اختار الآخرة فإن أي شيء يرضيه، فالمؤمنُ صدَّق أنه مخلوق للحسنى (الجنة)، وبنى حياته على العطاء والتقوى.

أما غير المؤمن فإستراتيجيته هي الأخذ... ﴿وَأَمَّا مَنْۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ (الليل ٨-١٠).

والآن ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾.

الراعي كلامُه غيرُ معقول، طلباته غير معقولة، غير واقعية، ولا يوجد مَن يسمع له أساسًا، أما المؤمن فإنه يناجي ربَّه، المؤمنُ بَنى حياتَه على الشكر، وغيرُ المؤمنين بنوا حياتَهم على التشكِّي والتذمُّر والكفر... وبالتالي فهم صُمٌّ لا يسمعون الحقَّ، وبُكْمٌ لا

ينطقون به، عُمْيٌ لا يرون آيات الله، بل يرون القصور، المناصب... ومع ذلك حياتهم كلها شكوى...

إن العقلَ مَنافِذُه: العينُ، السمع، اللسان؛ إذن فالعقل منافذه خارجية، فإذا كانت هذه المنافذ مغلقةً فإنه لا تصل نِعَمُ الله إلى هذا العقل؛ لذلك قيل: حُبُّكَ للشيء يُعْمي ويُصِمُّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم. والحمد لله رب العالمين.

المثل السادس

سورة البقرة (مدنية):

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾.

معاني الكلمات:

- أَمْ: وردت لفظة (أمْ) للإعراب عمّا سبق، وتتضمّن معنى الاستفهام.
- ٱلْبَأْسَآءُ: هي الشدّة المتوجِّهة إلى الإنسان من خارج نفسه، كالمَشَقَّة والحرب والفقر.
- وَٱلضَّرَّآءُ: نَقِيضُ (النعماء)، هي الشدّة التي تصيب نفس الإنسان داخله، كالألم والمرض والهمِّ.
- وَزُلْزِلُوا۟: شدّة الحركة، والزلزال: البليَّة المتولِّدة من تَقلُّب الأرض من سافلها إلى عاليها من شدّة الحركة.

تفسيرُ الآية:

نزلت هذه الآية عندما حُوصِر المسلمون واشتدّ الخوف

والفـزع بهم في غـزوة الأحـزاب، فجـاءت الآية لتثبِّـت قلوبَهم وتَعِدَهم بالنصر.

وقيـل: إنّ عبـد الله بـن أُبَيٍّ بن سـلول قال للمسـلمين عند فَشَـلهم في غـزوة أُحد: إلى متى تتعرّضون للقتـل، ولو كان محمّد نبيًّا لَمَا واجهتم الأسْر والتقتيل. فنزلت هذه الآية.

مما لا شـكَّ فيه أن المؤمنين -وعلى رأسـهم قائدهم وإمامهم ورسـولهم محمـد ﷺ- قد مسـتهم البأسـاء والـضراء في ظروف مختلفـة، وثَمَّةَ العديد من الآيات حول هـذا المعنى، ويدلُّ مجموع تلـك الآيات على دوام الابتلاء والامتحان (في النفس والمال) في جميع الأُمم السابقة، ويستمرُّ في الأمّة الإسلامية.

أمـا في هذه الآية فنقول: إنّ الابتلاء بالبأسـاء والضرّاء سُـنّةٌ إلهيـةٌ، والهـدف منها التمحيـصُ وتمييـزُ المؤمن الصابـر عن غير الصابر.

وكأنّ الآية تَسـليةٌ للنبيِّ ﷺ وأصحابه ممّا نالهم من المشركين وأمثالهم؛ لأَنّ سـماع أخبار الأُمم الماضية يُسـهّل الخَطب عليهم؛ ولذلـك يقـول: ﴿ أَمْ حَسِـبْتُمْ ﴾ أي: أظنَنتـم أيّهـا المؤمنـون أن تدخلوا الجنّة ﴿ ولَمّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الّذين خَلوا مِنْ قَبْلِكُم ﴾، أي: ولمْ تُبتَلَوا وتُمْتَحَنُوا بمثل ما ابتُليتْ به الأُممُ السـالفة، فعليكم بالصبر والثبات كما صبرَ أولئك وثبتوا.

وعلى ضوء هذا فالمَثل في الآية بمعنى الوصف، أي: لمّا يأتكم وصفُ الذين خَلوا من قَبلكم، فلا يدخلون حظيرةَ الإيمان الكامل إلا أنْ يكونوا مثل مَن واجهوا المصائب والفتن بصبر وثبات، ففي خِضَمِّ هذه الفتنة التي تنفد فيها طاقات البشر إذا بالرحمة تنزل عليهم من خلال دعاء الرسول ﷺ والصالحين من المؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾، فدعا وطلب الفرج من الله فأجابهم الله سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ ونصرهم الله في ذلك الاختبار.

وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يفتح لأصحابه باب البُشرى والأمل في التَّطَلُّع للمستقبل الذي ينصر الله فيه الإسلامَ فقال: «والله لَيَتِمَّنَّ هذا الأمرُ حتى يسير الراكبُ من صنعاء وحضرموتَ، لا يخافُ إلا اللهَ أو الذئبَ على غنمه، ولكنكم تستعجلون» رواه البخاري. أي: علينا بالدعاء دائمًا وعدم الاستعجال.

وفي معنى الآية قولُ القائل: على قدر أهل العزم تأتي العزائم، وقول الآخر: مَن طلب العُلا سهر الليالي. والله أعلم.

المثل السابع

سورة البقرة (مدنية):

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ﴿٢٦٣﴾﴾.

معاني الكلمات:

- أَمۡوَٰلَهُمۡ: ما يملكه الإنسان من النقود والزروع والممتلكات والحيوانات.
- سَبِيلِ ٱللَّهِ: كل ما يوصل إلى مَرْضاة الله.
- حَبَّةٖ: بِذْرة.
- سُنۢبُلَةٖ: جزء من النبات يكون فيه حبٌّ كسنبلة القمح.
- مَنّٗا: ذِكْر الصدقة وتعدادها على المُتَصَدَّق عليه على وجه التفَضُّل عليه.

- أَذًى: هنا بمعنى التطاولِ على المُتَصَدَّق عليه وإذلالِه بالكلمة القاسية التي تَمَسُّ كرامتَه.

- قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ: كلامٌ طيِّبٌ يُقال للسائل المحتاج.

- وَمَغْفِرَةٌ: معناها هنا الستر على الفقير بعدم إظهار فقرِه.

- صَدَقَةٍ: ما يُبْذَل من خير أو كلام أو مال (بالاختيار المحض). ابتغاء مرضاة الله.

- حَلِيمٌ: لا يُعاجل بالعقوبة، بل يعفو ويصفح.

تفسيرُ الآيات:

ذكر القرطبي أن هذه الآية نزلت في شأن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما جهَّز جيشَ العُسْرَة في غزوة تبوك، حيث قال الرسول ﷺ: «ما ضَرَّ عثمانَ ما عَمِلَ بعد اليوم» (رواه البخاري) والله أعلم.

لقد وعدَ الله سبحانه في غيرِ آية بالجزاء المضاعَف لَمن تصدق ابتغاءَ وجه الله. ولتقريب هذا الأمر أتى بالمثل الآتي وهو:

بِذرةٌ أنبتت ساقًا، انبثق منها سبعةُ شُعَب، خرجَ من كلِّ شُعبة سنبلةٌ فيها مئة حبّة، فصارت الحبّة سبعمئة حبّة، بمُضاعفة الله لها، ولا يخفى أنّ هذا المثل أبلغُ في النفوس من ذكر العدد (السبعمائة) مباشرة؛ فإنّ في المثل إشارة إلى أنّ الأعمال الصالحة ينمِّيها الله عزّ وجلّ لأصحابها. ثمّ إنّ ما ذكره القرآن من المثل هو أمرٌ مُمكنٌ وواقعٌ.

ثمّ إنّه سبحانه فرضَ على المُنفق في سبيل الله – الطالب رضاه ومغفرته – أنْ لا يُتبِع ما أنفقهُ بالمَنِّ، أي: التطاول على المُعْطَى (السائل)، بأن يقول: ألم أُعطك؟ ألَم أُحسن إليك؟ كما نهى المعطي عن الأذى، كَانْتِهَارِ السائل ورفعِ الصوت عليه.

فالمنفقون غيرُ المُتْبِعين إنفاقَهم بالمنّ والأذى ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، أي: إن لهم ثوابًا عظيمًا، وإن الله سيسعدهم في الدارين؛ لأنَّ سِرَّ السعادة في الأمن مِن خَوف مُنْتَظَرٍ، والسلامةِ من أمرٍ مُحْزِنٍ قد سبق.

ثمّ إنّه سبحانه يُرشد المنفقين إلى أنْ يردّوا الفقراء إذا سألوهم –فلم يستطيعوا إعطاءهم– ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾، كأن يتلطَّف بالكلام في ردّ السائلين والاعتذار منهم والدعاء لهم، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي: سترعلى الفقراء بعدم إظهار فَقرِهم ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾، ولعل في قوله﴿غَنِىٌّ﴾ تذكيراً للمعطي أن الله أعطاه، وتذكيراً للسائل أن يسأل ربه ومولاه. وفي قوله ﴿حَلِيمٌ﴾ تنبيه للمتصدِّق أن يحلم على من سأله وألح عليه وأزعجه بالإلحاح، وفي نفس الوقت هو إخبار أنه يعفو عما بدر من المعطي والسائل إذا استغفرا. والله أعلم

يقول الدكتور راتب النابلسي في تفسير هذه الآيات:

الله سبحانه وتعالى أودع في البشر حُبَّ المال: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ سورة الفجر/ ٢٠.

وما أودع الله في الناس حُبَّ المال إلا ليرتقوا بإنفاق المال إلى أعلى درجات الجنة؛ لأن الإنسان يتقرب إلى الله عز وجل بإنفاق شيء يحبه، ولأن هذا المال مادة الشهوات، فإن المرء إذا أنفق منه شيئًا يكون مُنْفِقًا شيئًا من أسباب وجوده؛ وكلَّما كان الشيء لصيقًا بوجود الإنسان كان إنفاقه سببًا لِرُقِيِّ الإنسان إلى الله.

المؤمن وصفه الله في القرآن الكريم في أول سورة البقرة:

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ البقرة/ ١-٣.

الإنفاق بالمعنى الواسع أن تنفق مِن أيِّ شيء مَنحَك الله إياه، فقد يمنح الله لعبدٍ مكانة في المجتمع، هذه المكانة يمكن أن تنفق منها بتسخيرها في دفع ظلم عن مظلومٍ... وعندها يرقى بهذا المنصب عند الله. ويمكن أن تنفق من وقتك، كما يمكن أن تنفق من خِبرتك.

الآية الكريمة: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾، وكلمة ﴿أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ جاءت جمعًا؛ لأن كلَّ أنواع الأموال قابلة للإنفاق.

العِبرة أن أبواب العمل الصالح لا تُعدُّ ولا تُحصى، وحجمك عند الله بحجم عملك الصالح. قال رسول الله ﷺ: «من أصبح وأكبرُ هَمِّهِ الآخرةُ جعل الله غِناه في قلبه، وجمع عليه شَمْلَه، وأتَتْه الدنيا وهي راغمة» (الترمذي عن أنس).

لذلـك: فالمؤمن عنده حكمة بالغـة في إنفاق المال؛ ينفق المال لتحقيق حاجاته الأساسية، وينفق المال للتقرب إلى ربه.

والآيـة الكريمـة: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖ﴾ سبعة بمئة، وقد تكون سـبعة بألف ضعف. والله عز وجل ﴿يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾، هـذه الآيـة أصلٌ في إنفـاق المال، أيهـا المُنفِق اعتقد يقينًا أن كل شيء تنفقه فإن الله عزوجل يُخْلفه عليك أضعافاً مضاعفة. والله أعلم.

المثل الثامن

سورة البقرة (مدنية):

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤ ﴾.

معاني الكلمات:

- رِئَآءَ: من الرؤية: وسُمِّي المرائي مُرائيًا لأنّه يفعل ليُري غيرَه ذلك (لا لوجه الله).
- صَفۡوَانٍ: الحجر الأمْلَس.
- وَابِلٌ: المطر الشديدُ.
- صَلۡدًا: الصلب من الأرض الذي لا يَنبت منه شيء.

تفسيرُ الآية:

إنَّ التلطُّف بالكلام في ردِّ السائل والاعتذارِ منه، والعفوَ عمّا يصدُر منه من إلحاح وإزعاج أفضلُ من أن يُنفق الإنسان ويُتبع عملَه بالأذى؛ وذلك لأنّ المنَّ والأذى يُبطل الإنفاق السابق؛ لأنّ

تَرَتُّبَ الأجرِ على الإنفاق مشروطٌ بترك تعقُّبِه بهما، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾.

شبّه سبحانه أصحابَ المنِّ والأذى بالمُرائي الذي لا يبتغي بعمله مرضاةَ الله تعالى، غير أنّ المانَّ والمُؤْذي يقصدان بعملهما مرضاةَ الله ثمّ يُتبعانه بما يبطله؛ ولذلك صحّ تشبيههما بالمرائي تشبيهَ الضعيف بالقوي.

وأمّا حقيقة المثل فتوضيحها بما يلي: قال سبحانه: ﴿كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾، أي: إن عملَ المُرائي له ظاهر جميل وباطن رديء (كالمنافق)، فالإنسان غيرُ العارفِ بحقيقة نيّة العاملِ يَتخيّل أنّ عملَه مُنتِجٌ ونافعٌ وصالحٌ، كما يَتصوّر الإنسانُ الحجرَ الأملسَ الذي عليه تراب ناعم، فيتخيَّل أنّه صالح للنباتِ، فيَبْذُرُ فيه رجاءَ أنْ يحصُدَ، وعندما أصابه مطرٌ غزير ونفضَ التراب عن وجهه ذهب بالبذر وتبيّن أنّه حجرٌ أملسُ لا يصلُح للزراعة، فهكذا عملُ المُرائي، إذا انكشفت الوقائع ورُفعت الأستارُ تبيّن عملُه أنّه رديءٌ عقيمٌ غيرُ مُنتِجٍ، فيبقى محرومًا من الخير والأجر.

ثمّ إنّ الذي يَمُنُّ على مَن أعطاه والمؤذي للمتصدَّق عليه بالكلام القاسي أو الزجر أو التشهير بعد الإنفاق أشبهُ بعمل المُرائي والمنافق، والأخيرُ كافرٌ بربِّه في باطنه، فكيف يهديه الله إلى السداد والرشاد، فالله لا يَهدي إلا مَن أراد لنفسه الهداية بحَقٍّ وقلبٍ سليم... والله أعلم.

المثل التاسع

سورة البقرة (مدنية):

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥﴾.

معاني الكلمات:

- وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ : تَيَقُّنًا بمَثُوبةِ الله تعالى، أو تقويةً لأنفسهم على الإيمان بفعل الخير.
- بِرَبۡوَةٍ : هي التلُّ المرتفع.
- أُكُلَهَا : نَتَاجَها (ما يُؤكَل منه).
- فَطَلّٞ : (الطَّلُّ): هو المطر الخفيف.

تفسيرُ الآية:

شبّه سبحانه في هذه الآية عملَ المُنْفِقِ لمَرْضاة الله تبارك وتعالى بجنّة خضراءَ يانِعةٍ تقع على أرض مرتفعة خَصْبَة، تستقبل النسيمَ الطَّلْقَ والمطرَ الكثير النافع، وقيّد المشبّه به ببُستان مرتفعٍ

عن الأرض؛ لأَنّ تأثيرَ الشمسِ والهواء فيه أكملُ، فيكون أحسنَ مَنْظرًا وأزكى ثمرًا، أمّا الأماكن المنخفضة التي لا تُصيبها الشمسُ إلا قليلًا فلا تكون كذلك.

قال الرازي: إنّ المُراد بالرَّبوة: الأرضُ المُستويةُ الجيّدةُ التربةِ، بحيث تَربو (ترتفع) بنزول المطر عليها وتنمو، كما قال سبحانه: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ فصلت/ ٣٩.

وعلى كلّ حالٍ، فهذا النوع من الأرض إنْ أصابها مطرٌ شديد آتتْ أُكُلَها ضِعفَين، فكان ثمَرُها مِثْلَيْ ما كانت تُثمر في العادة، وإن لم يُصبْها مطرٌ شديد بلْ أصابها مطرٌ خفيف (طل) تعطي أُكُلَها حَسبَ ما يُتَرَقَّبُ منها من خير. أي: إن ثوابه سيكون مضاعفاً بإذن الله.

فالذين ينفقون أموالهم في سبيل الله أشبهُ بتلك الجنّةِ ذاتِ الحاصل الوافر المفيد والثمين.

ثمّ إنّ قوله سبحانه: ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ بيانٌ لدوافع الإنفاق، وهو ابتغاء مرضاة الله أوَّلًا، وتقويةُ روحِ الإيمان في القلب ثانيًا، ولعلَّ السرَّ في دخول (مِنْ) على ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ـ مع كونِه مفعولًا لقوله: ﴿وَتَثْبِيتًا﴾ – بيانُ أنّ المؤمن الصادق يُنْفقُ من نفسٍ قد روَّضها وثبَّتها على الطاعة، حتى سَمحت بالإنفاق لله بالمال الغزير.

ثــم إن الذي يميز النياتِ ويعلــم السرائرَ هو الله وحدَه؛ لأنه بصــيرٌ بالأعمال، مُطَّلعٌ على الأحوال، يعلــم المُخلِص مِن المُرائي. والله أعلم.

المثل العاشر

سورة البقرة (مدنية):

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢٦٦ ﴾.

معاني الكلمات:

- أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ : أيحب أي منكم.
- جَنَّةٞ : هي الشجر الكثير الملتفُّ المنتِج، وهي أيضًا الأرض الخضراء الخصبة المُزْهِرة (البستان).
- نَّخِيلٖ : جمعُ (نخلة)، وهي الشجرة التى تُنتِج البلح والتمر.
- وَأَعۡنَابٖ : جمعُ (عنب)، وهو ثمر الكرْم.
- إِعۡصَارٞ : ريحٌ عاصفة تستدير في الأرض ثمّ تنعكس عنها إلى السماء حامِلةً معها الغبار، جَمْعُهُ: أعاصير، وخصَّ الأعاصير بالَّتي فيها نار، وذلك قد يكون فيه احتمالات:

أ: الرياح التي تكتسب الحرارة أثناء مرورها على الحرائق فتحمل معها النيران إلى مناطق نائية.

ب: العواصف التي تصاحبها الصواعق وتصيب الأرض وتُحيلها إلى رماد.

وعلى كلٍّ فالمقصود هو نزولُ البلاء على هذه الجنَّة (البستان)، والذي يؤدِّي إلى إبادتها بسرعة.

تفسيرُ الآية:

المشبَّه في الآية هو مَن يعمل عملًا صالحًا ثم يُردِفُه بالسيئة، كما هو مرويٌّ عن ابن عبّاس، وعندئذٍ يكون المراد: مَن يُنفق ويُتبع عملَه بالمنّ والأذى.

وأمّا المشبَّه به: فهوعبارة عن رجل طاعِنٍ في السِّنِّ، ضعيفٍ عن الكَدِّ والتَّكَسُّب، وله أولادٌ صغارٌغيرُ قادرين على العمل، وله جنّةٌ محفوفة بالنخيل والأعناب، تجري من تحتها الأنهارُ، وله من كلِّ الثمرات، وقد عقدَ على تلك الجنّة آمالًا كبيرة للاستفادة من رَيْعِها (إيراداتها) ليَتدبَّر شؤونَ معيشتِه وقوتَ أولادِه، وفجأة هبّتْ عاصفةٌ مُحرِقةٌ فأحرقتها وأبادتها عن بَكرة أبيها، فكيف يكون حال هذا الرجل من الحزن والحسرة والخيبة والحرمان بعدما تلاشت آمالُه؟ وخصوصًا أنه لا يقدر على العمل لمُزاولة الزرع وكسب القوت...

فالمُنفِق في سـبيل الله هيّأ لنفسـه أجرًا وثوابًـا أُخْرَويًّا عقدَ به آمالَـه، فإذا بـه يُتبع عملَه بالمعاصي (عن قَصْد)، فسـلّط الله على أعماله الحسـنةِ تلـك أعاصيرَ مُحرِقةً تُبيـد كلَّ ما عقـدَ عليه آمالَه، فالرياء يتسـلَّط على عمل الإنسان كما يتسلط الحريق على البستان. والله أعلم.

المثل الحادي عشر

سورة البقرة (مدنية):

﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾.

معاني الكلمات:

- ٱلرِّبَوٰاْ : الزيادةُ على رأس المال، فلو أقرضَ أحدٌ أحدًا عشرةَ ريالاتٍ إلى سَنَةٍ على أنْ يردَّها اثني عشر ريالًا –مثلًا– فهو ربا.

- يَتَخَبَّطُهُ : بمعنًى واحد، وهو المشي على غير استواء، ويقال للذي يتصرّف في أمر ولا يهتدي فيه: هو يَخْبِطُ خَبْطَ عَشْواءَ. وعلى هذا فالمراد من قوله: ﴿يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ أي: يخبطه الشيطان ويضربه، أي: يصرعُه، وقيل أيضًا: يضطرب ويقلق ويختلِط عقلُه.

- مِنَ ٱلۡمَسِّ : أي: لا يقومون إلاّ كما يقوم المصروع من مس

الشيطان. وهو التشويش على الإنسان والتحكم بشهواته الباطنية وإثارتها، ومن ثم إرهاقه نفسياً وعصبياً، حيث تبدو علامات سلوكية بالظهور على المصاب كالغضب الهستيري والإرهاق العصبي.

- مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ: أمر ونهي من الله سبحانه وتعالى.
- سَلَفَ: أي: الماضي، ومنه الأمم السالفة أي: الماضية.

تفسير الآية:

إنّ آكِل الرِّبا لا يقوم إلاّ كقيام مَن يخبِطه الشيطانُ فيَصْرعُه، أي: يرميه أرضًا، ثم يقوم على غير استواءٍ مُضطرِبًا مختلطًا عقلُه.

فالتشبيه وقعَ بين قيام آكلِ الربا وقيام المصروع من خَبْط الشيطان، فيُطرح هنا سؤالان:

الأول: ما المراد من أنّ آكل الربا لا يقوم إلاّ كقيام المصروع؟

الثاني: ما المراد من كَون الصرع مِن مسِّ الشيطان؟

أمّا الأول: فقد اختلفَت فيه كلمةُ المفسِّرين على وجوه:

١ - ذهبَ أكثرهم إلى أنّ المراد قيامُهم يومَ القيامة قيامَ المتخبِّطين، فكأنَّ آكلَ الربا يُبعث يوم القيامة كالمجنون، وذلك كالعلامة المخصوصة بآكل الربا، فيعرفُه أهل الموقِف أنّه آكلُ الربا في الدنيا، وعلى ضوء هذا فيكون معنى الآية: إنّهم يقومون كالمجانين كمَن أصابه الشيطان بمسٍّ.

٢- إنّ الناس إذا بُعثوا من قبورهم خرَجوا مسرعين لقوله: ﴿

﴿يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعًا﴾ المعارج/ ٤٣. إلاّ أَكَلَةَ الربا، فإنّهم يقومون ويسقطون؛ لأنّه سبحانه أَرْباهُ في بطونهم يوم القيامة حتى أَثْقلهم، فهم ينهضون ويسقطون، ويريدون الإسراعَ ولا يقدِرون.

٣- إنّ المراد من المسِّ ليسَ الجنون -وإن كان المسُّ يُستعمل فيه- بل المراد: مَن تبعَ الشيطان وأجاب دعوته، كما هو الحال في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ الأعراف/ ٢٠١.

فلا شكّ أنّ آكلَ الربا يكون مُفرِطًا في حُبِّ الدنيا، مُتَهالكًا عليها؛ ولذلك تكون حياتُه الدنيويةُ حياةً على غير استواء.

فالربا يُضادُّ التوازنَ والتعاونَ الاجتماعيَّ، ويُفسد الانتظام على الصراط الإنساني المستقيم الذي أرشدتْ إليه الفطرةُ الإلهية.

وهذا هو التخبُّط الذي يبتلى به المرابي، وإذا دُعي إلى أن يترك الربا ويأخذ بالبيع، أجاب إنّ البيع مِثلُ الربا لا يزيد على الربا بمزيّة؛ لأن الربا زيادة في نهاية الأجل والبيع في أوله، فلا مُوجِب لترك الربا وأخذِ البيع؛ ولذلك استدلّ تعالى على تخبط المُرابين بما حكاه من قولهم: ﴿إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾.

وهنا سؤال: لماذا قالوا: البيع مثل الربا، ولم يقولوا: الربا مثل البيع؛ لأَنّ الكلام في الربا لا في البيع، فكان ينبغي عليهم أن

يشبِّهوا الربا بالبيع، لا العكس؟

والجـواب: أنّهم شـبّهوا البيع بالربا للمبالغـة، حيث جعلوا الربا أصلًا، والبيعَ فرعًا، فقالوا: إنّ البيع مِثل الربا.

والآيـة تتضمن أن الذي وصل إليه النهي عن الربا فتاب من الربـا تجـاوز الله عنه ما كان قبـل النهي، ومَـرَدُّه إلى الله يقضي فيه ما شـاء، وأما مَن اسـتحلَّ الربا بعد النهي فهو معانِد لربه محارِبٌ لمولاه فجزاؤه نار جهنم. والله أعلم.

المثل الثاني عشر

سـورة آل عمران (مدنيـة): وترتيبها السـورة الثالثة فـي المصحف الشريف

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

معاني الكلمات:

- ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ: أي: ما قصصناه عليك في شـأن خَلْق عيسى هو الحق الثابت من ربك.

- ٱلْمُمْتَرِينَ: الشاكِّين

تفسيرُ الآيات:

رُوي أنَّ وفـد نجران قالوا للرسـول ﷺ -فيـما قالوا-: كلُّ آدميٍّ له أبٌ، فما شأن عيسى لا أبَ له؟ فأنزل الله تعالى على رسوله هذه الآية... وقد ذكرَ سـبحانه كيفيَّة ولادة المسيح (عليه السلام) من أمِّه (مريم العذراء)، وابتدأ بيانَه بقوله: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ ... ﴾، وانتهـى بقوله: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا

﴿يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ آل عمران/ ٤٥-٤٧.

وبذلك أثبتَ أنّ المسيحَ مخلوقٌ لله سبحانه، مولودٌ من أُمِّه مريم العذراء دونَ أنْ يمسَّها بَشَرٌ، وأنّه(عليه السلام) آيةٌ من آيات الله سبحانه، ولمّا كانت النصارى تتبنَّى أُلوهية المسيح وأنَّه يعتبَر أحدَ أضلاعِ مثلَّث الأُلوهية: الربّ، والابن، وروح القُدس، وكانت تؤمِن أنّه ابن الرب لأنّه ولِدَ من مريم بلا أبٍ، ولمّا احتجّوا بهذا الدليل أمام النبي ﷺ وافاه الوحيُ مُجيبًا على استدلالهم بأنّ كيفيَّة خَلقِ المسيح هي كخَلق آدم عليهما السلام؛ حيث إنّ آدم خُلق من ترابٍ بلا أب وأُمٍّ، فإذا كان هذا أمرًا ممكنًا -وهو أَتَمُّ بالإعجاز- فمِثْله المسيحُ عليه السلام حيث ولِد من أُمّ بلا أب، بل هو أهون على الله.

فخِلقةُ سيدنا عيسى عليه السلام كخِلْقة سيدنا آدم عليه السلام خِلْقةٌ طبيعيَّةٌ كونيَّةٌ، وإن كانت خارقةً للعادة الجارية في النسل؛ لأن مشيئة الله في هذه المعجزة تحققت بـ ﴿كُن فَيَكُونُ﴾، فهذا هو الحقُّ الثابت من الله تعالى في شأن سيدنا عيسى عليه السلام؛ فلا تكونَنَّ من الشاكِّين فيه يا محمد -وحاشاه ﷺ أن يشك-، والخطاب وإنْ كان موجَّهًا إلى النبي ﷺ فإنَّ المُراد غيرُه مِنْ سائر الذين يَتَأَتَّى لهم الشك، أما هو فإنه المعصومُ مما هو أقلُّ من الشكِّ. والله أعلم.

المثل الثالث عشر

سورة آل عمران (مدنية):

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

معاني الكلمات:

- صِرٌّ: الرِّيح الباردة جدًّا، وقيل: صوتٌ قويٌّ لا يُحتمَل، وقيل: صوتُ لَهَبِ النار التي كانت في تلك الريح. والمُراد هنا: الريح السامَّة التي تُهلك الزرع.

- حَرْثَ: الزرع.

- فَأَهْلَكَتْهُ: أماتته.

تفسيرُ الآيات:

يخبر الله تعالى عن الكفار أنهم وَقُودُ النار، كما جاء في آيات

كثيرة في غير هذا الموضع، وليس ما أُوتُوهُ في الدنيا من الأموال والأولاد بنافعٍ لهم عند الله، ولا ينجيهم من عذابه وأليم عقابه.

إن الكافرين الذين أنفقَوا مالهم في هذه الحياة الدنيا في سبيل الظهور والشهرة هم كقَوْمٍ زرعُوا في غير موضِعِ الزرع أو زمانِه، وأجهدوا أنفسَهم في استصلاحه، وهذا المُراد من: ﴿حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾، فلما نما الزرعُ وأقبل الثمر أرسل الله عليه رِيحًا عاصفًا فأحرقت الزرعَ. فالذين أنفقوا في حياتهم على أنفسهم وغيرهم، وكذلك في كافة المشاريع والأعمال ولو كانت جيدة وحميدة وهم كافرون (قد يمد الله لهم في الدنيا من باب الإحسان أو الابتلاء) - لا ينتفعون من إنفاقهم شيئًا من الآخرة؛ لأنهم أشركوا بالله سبحانه وتعالى فَمَحَقَ اللهُ أعمالَهم، ولم يكُنْ ظالمًا لهم، وإنَّما هم استوجبوا هذا الجزاء بكفرهم بربهم وشركِهم ومحاربةِ أولياء الله.

وفي تفسير النابلسي:

الإنسان قد يسعى إلى جمع المال، وقد يتوهَّمُه في مُقْتَبَل حياته شيئًا عظيمًا، لكنْ في منتَصَف الحياة يتحقَّقُ أنه شيءٌ وليس كلَّ شيءٍ. الكافر الذي ما عرف اللهَ، وعَبَدَ شَهوتَهُ من دون الله، واتَّخذ إلهَهُ هواهُ، هذا إنسانٌ تنطبق عليه هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: إنَّ مشاريعَه، إنجازاتِهِ الكبيرةَ وحتى إتمامه في الخير أو في سبيل تقدم المدنية، في ميزان الشريعة لا شيء، البطولة أن تأتي مقاييسُك وَفْق مقاييسِ القرآنِ، والقرآنُ اعتمد قيمتين فقط، اعتمد قيمةَ العلم بعد الإيمان، واعتمد قيمة العمل، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ المجادلة/ ١١.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، إنَّ أشدَّ أنواع الظلم أن يظلم المرء نفسه، ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ سبأ/ ١٧، آية دقيقة جدًّا، والآية الثانية: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ النساء/ ١٤٧، والآية الثالثة: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الزمر/ ١٥. وأشدُّ أنواع الخسارة أن تخسر الآخرة، فما يهم إذا كسبت بعض ما في الدنيا من المال والشهرة، وذلك حال المنفقين في الدنيا لخير البشرية والأعمال الإنسانية لا ابتغاء وجه الله ولا إيماناً به إلهاً واحداً لا شريك له.

ملاحظة لطيفة:

لا يحق لأحد أن يقول: فلانٌ سيدخل الجنة أو آخر سيدخل النار سواءً كان مشركاً أو عاصياً أو غنياً أو عالماً أعطاه الله من

فضله وعلمه وهو يقوم بأعمال خيِّرة ويفيد البشرية ويحارب الفقر والجهـل، أو كان مسـلماً ظاهره الصلاح ولكنـه لا ينفق كما يجب في سـبيل الله أسوة بالآخر بأنه سـوف يدخل الجنة... فالله وحده يعرف النوايا والخواتيم، وهو الذي سـوف يحكم على عباده بعدله ورحمته في الدنيا والآخرة، وأما القول والجزم بغير ذلك فلا يجوز.

المثل الرابع عشر

سورة الأنعام (مكية): وترتيبها السادسة في المصحف الشريف

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

معاني الكلمات:

- مَيْتًا: فاقد الحياة.
- فَأَحْيَيْنَٰهُ: جعلناه حيًّا بروح الإيمان.
- نُورًا: الضوء الجَلِيُّ الساطع، وهو ضِدُّ الظلمة.
- زُيِّنَ: ظَنَّ أن عملَه حسنٌ وخيرٌ.

تفسيرُ الآية:

روي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في حمزة بن عبد المطّلب وأبي جهل بن هشام، وذلك أنّ أبا جهل آذى رسول الله ﷺ فأُخبِرَ بذلك حمزةُ -وهو على دين قومه- فغضبَ وجاء ومعه قوس فضرب بها رأس أبي جهل، وآمنَ بعدها سيدنا حمزة.

وقيل: إنّها نزلت في عمر بن الخطاب أو عمّار بن ياسر ـ حين آمنَ ـ وأبي جهل، وهو المرويُّ عن أبي جعفر.

في هذه الآية تمثيلات عدة نذكرها تِباعًا:

١ . ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾، شبّه الكافر بـ(المَيت) والهداية بالحياة، أي: أحييناه ووفّقناه لاتباع الرسول ﷺ. وقد شُبّه المؤمنُ في غير واحدة من الآيات بالحيِّ، والكافرُ بالميت، قال سبحانه: ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا﴾ يس/ ٧٠، وقال: ﴿وَما يَسْتَوِي الأَحْياءُ وَلاَ الأَمْواتُ﴾ فاطر/ ٢.

٢ . ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾، شبّه القرآنَ بالنور؛ حيث إنّ المؤمنَ على ضوءِ القرآن يشقُّ طريقَ السعادة، قال سبحانه: ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ قَدْ جاءَكُم بُرهانٌ مِنْ رَبّكُمْ وَأَنْزَلْنا إلَيْكُمْ نُوراً مُبيناً﴾ النساء/ ١٧٤، وقال سبحانه: ﴿مَا كُنْتَ تَدري مَا الكِتابُ ولاَ الإيمَانُ ولكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً﴾ الشورى/ ٥٢، فالقرآن يُنوِّر الدربَ للمؤمن فيزداد هدايةً.

٣ . ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾، فالمراد من الظُّلمة إمّا الكفر أو الجهل، قال سبحانه: ﴿اللهُ وَلِيُّ الّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّور﴾ البقرة/ ٢٥٧، ثمّ إنّه سبحانه شبّه الكافرَ بالذي يمكُث في الظلمات لا يهتدي

إلى شيء بقوله: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾، ولم يقل: كمَنْ هـو في الظلمات، ولعلّ الوجه هو بيـانُ أنّه بلغَ في الكفر والحَيرة والضلال -باختياره- غايةً يُضرب بها المَثل.

وحاصـل الآية: أنّ مَثَلَ مَـن هداه الله بعـد الضلالة ومَنَحَه التوفيقَ لليقين كمَن كان مَيتًا فأحياه الله وجعلَ له نورًا يمشي به في الناس مُستضيئًا به، فيميّز به الحقَّ والباطل.

وَسُنَّةُ الله تعالى أنَّ مَن أحب شيئًا وغالى في حبِّه على غير هدى ولا بصيرة يصبح في نظره زَينًا وهو شَـيْنٌ (قبيح وعيب) وحسـنًا وهو في حقيقة الأمر قبيحٌ.

قد يظن الكافـر بضلاله وبأفعاله القبيحةِ المحرَّمةِ الباطلةِ أن نتائجَها جيدةٌ وخَيِّرةٌ بحسب هواه، ولكنها في الحقيقة وبالٌ عليه، كمثـل الذي يلعـب بالمَيْسرِ ويظن (يُزَيَّن له) أنه سـيجني من هذا اللعب مالًا وَفِيرًا فيستمرُّ باللعب، ولكنه لا يُدْرِك في ذلك الوقت عاقبـةَ هذا الأمر الذي سـيكون -حتـمًا- وَضيعةً عليـه في الدنيا ونهايتُه الخسـارةُ، وكذلك في الآخرة، حيث سيجازيه الله سبحانه الجزاء الأوفى. والله أعلم.

المثل الخامس عشر

(اعتبر بعض المفسرين هذه الآية من الأمثال)

سورة الأعراف (مكية): وترتيبها السابعة في المصحف الشريف

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠ ﴾.

معاني الكلمات:

- بِـَٔايَٰتِنَا: تعاليم الرُّسُل وكُتُبُهم.
- وَٱسۡتَكۡبَرُواْ: الامتناع عن قَبول الحق.
- لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ: المراد عدم تَقَبُّلِ الأعمال الصالحة.
- يَلِجَ: يدخل.
- سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ: ثُقب الإبرة التي يُخاط بها.
- ٱلۡمُجۡرِمِينَ: الذين أذنبوا وأفسدوا.

تفسيرُ الآية:

إن هـذه الآية قـرَّرتْ حُكْمًا عظيـمًا على الذين كذبـوا بآيات الله واسـتكبروا، وهم -حسب سـياق الآيات التي قبلها- الذين افـترَوا على الله الكـذبَ، أي: الذيـن يقولون: اتَّخـذ اللهُ ولدًا، أو أمـر بالفواحـش، أو حرَّم كذا وهـو لم يُحرِّم، أو حَلَّـل كذا وهو لم يُحلِّل، أو كذبوا دعوات الله التي جاءت بها رسله وعاندوا.. حتى إذا جـاءت ملائكة الموت يتوفَّوْنَهم يقولـون: أين ما كنتم تدعون مـن دون الله؟ (أي أصنامهم ورؤسـاءهم)، فيجيبون بأنهم غابوا عنَّا، فقال سـبحانه وتعالى عنهـم: ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ الأعـراف/ ٣٧، ويوم القيامة يُقال لهم: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ الأعـراف/ ٣٨-٣٩. أي: ذوقوا العذاب نتيجةَ الشرك والافـتراء على الله تعالى والتكذيـبِ بآياته ومُجانبـةِ طاعته وطاعةِ رسـوله، فهؤلاء إذا مات أحدُهـم وعَرَجت الملائكـة بروحه إلى السـماء ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾، أي: إن للسماء أبوابًا لا يدخلها ملَكٌ ولا جِنِّيٌّ ولا إنسانٌ ولا عملٌ إلا بإذن الله، وبالتالي لا يصعد لهم أيُّ عملٍ طيب أو سعيٍ صالح أو دعاءٍ؛ لقبح سعيهم وخبثِهم،

وقد علَّق اللهُ سبحانه دخولَ هؤلاء الجنةَ على مستحيل وهو دخول الجملِ في ثقب الإبرةِ، والمُعلَّقُ على مستحيل مستحيل.

وفي هـذه الآيـة تمثيـلٌ، وليس فيها لفـظُ (المثـل) أو حرفُ التشبيه (كـ). وكانت العرب تمثِّل للشيء البعيدِ المَنالِ والمستحيلِ بقولهم: لا أفعل كذا حتى يشـيب الغراب (والغراب لا يشيب)، إلى غير ذلك من الأمثال. والله أعلم.

المثل السادس عشر

سورة الأعراف (مكية):

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦٓۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٥٧ وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ٥٨﴾.

معاني الكلمات:

- بُشۡرَۢا: مُبشِّرةً بالخير ونزولِ المطر من رحمته.
- أَقَلَّتۡ: من الإقلال، وهو حَمل الشيء بِأَسْرِه.
- سَحَابٗا ثِقَالٗا: سحابًا مُشْبَعًا ببُخار الماء.
- سُقۡنَٰهُ: سَيَّرْناهُ ونشرناه باتِّجاهٍ مُعَيَّن.
- لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ: الذي لا نبات فيه ولا عشب.
- تَذَكَّرُونَ: تتفكرون وتؤمنون بالبعث والجزاء.
- وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ: الأرض الطيّبُ تُرابُها، حيث يَخرُج الزرعُ والثمر

ناميًا زاكيًا من غير عَناء.

- وَٱلَّذِى خَبُثَ: الأرض السَّبْخَةُ التي خبُث ترابُها فلا تعطي، وإذا أعطت فيكون شيئًا قليلًا جدًّا.

- نَكِدًا: العَسِرُ الممتنِع من إعطاء الخير للناس.

- نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ: تكرُّرُها وتنوُّعُها بأساليبَ مختلِفةٍ وبضرب الأمثال للعبرة.

تفسيرُ الآيات:

ذكرَ سبحانه في الآية الأُولى أنّه يُرسِل الرياحَ مبشِّرةً للناس برحمته، فإذا حَملت سحابًا مُثْقلًا بالماء ساقهُ سبحانه إلى بلد ميّت جَدْبٍ لا ماء فيه ولا زرع فينزل المطر، فتحيا به الأرضُ وتؤتي ثمراتِها.

وفي الآية الثانية ذكر سبحانه أنّ هطولَ المطر وسَقْيَ الأرضِ جزءٌ ممّا يتوقف عليه خروج النبات، وهناك شرطٌ آخر، وهو أن تكون الأرضُ خصبةً صالحة للزراعة، هذا هو حال المشبَّه به. وأمّا المشبَّه: فهو المؤمنُ، شبَّهه الله بأرض طيّبة تَلينُ بالمطر ويحسُن نباتُها ويكثُر رَيْعُها، وتُثمِر ثمرًا وخيرًا غزيرًا طيِّبًا، أيْ إن المؤمنَ إذا سمع ما يُنزِل سبحانه من الآيات يزداد إيمانُه فتزداد أعماله الصالحة، كما يُشبّه قلبَ الكافر بالأرض السبخة التي لا تنبت شيئًا، فالكافر

عندما يسمع الآياتِ لا يُقْبِل عليها ولا ينتفع بها في سلوكه، فلا يعمل خيرًا، ولا يترك شرًّا. كما يمثل هذا التدبير المحكَم في إنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها أنه سبحانه سيحييكم بعد موتكم فيخرجكم من قبوركم أحياء ليحاسبكم على كسبكم في هذه الدار ويجزيكم به الخير بالخير والشر بمثله جزاء عادلاً لا ظلم فيه فتتفكرون وتتذكرون أن الله سبحانه قادر على إحياء الأموات فتؤمنوا بلقاء ربكم وتوقنوا به وتشكروه على هذه النعم فتعملوا بمقتضى ما يسعدكم فيه. والله أعلم.

المثل السابع عشر:

سورة الأعراف (مكية):

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾.

معاني الكلمات:

- وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ : اقرأ عليهم.
- نَبَأَ : الخبر عن الأمر العظيم، ومنه اشتقاق (النبوّة).
- فَٱنسَلَخَ : النزع، وهنا بمعنى الترك والابتعاد.
- فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ : لحقه وأدركه ووسوس له.
- ٱلۡغَاوِينَ : غير المُهْتدين.

- لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا : إعلاء الشأن في الدنيا والآخرة نتيجةَ تصديق واتباعِ آيات الله.

- أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ : مال إلى الدنيا وركن إليها.

- وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ : ترك كلام الله وتبع شهوتَه ووسوسةَ الشيطان.

- تَحْمِلْ عَلَيْهِ : تجعله يجري.

- يَلْهَث : أن يُخرِج الكلبُ لسانَه من التعب والإعياء والعطش.

- ٱلْقَصَصَ : أخبار السالفين.

- سَآءَ مَثَلًا : قَبُحَ صِفةً.

تفسيرُ الآيات:

اختلف المفسرون في هذه الآيات مَن المراد بها؟ فقيل: هو بلعم بن باعوراء الكنعاني الذي كان عالِمًا من علماء بني إسرائيل في زمن موسى عليه السلام، أُوتي بعضَ علم كتاب الله، ولكنّه كفرَ به ونبذه وراء ظهره، فلحقهُ الشيطان، وصار قرينًا له، وكان من الغاوين الضالّين الكافرين.

وأمّا الآية الثانية، فهي تتضمّن حقيقة قرآنية، وهي: أنّه سبحانه وتعالى كان قادرًا على رفعِهِ وتنزيهه وتقريبه إليه، ولكنّه لم يشأ؛ لأَنّ مشيئته سبحانه لا تتعلّق بهداية مَن أعرضَ عنه وكذب بآياته واتّبع هواه، فهذا أخلدَ إلى الأرض ولصقَ بها، وكأنّها كناية

عن الميـل عن الاتجاه إلى الله سـبحانه إلى التمتُّع بالمَـلاذِّ الدنيوية، فكيف تشمله العناية الربّانية؟!

ثمّ إنّه سبحانه يشير إلى وجه آخر لعدم تعلّق مشيئته بهدايته، وهو: أنّ هذا الإنسـان بلـغَ في الضلالة والغِوايـة مرحلةً صارت فيها الضلالةُ سـجيّةً وطبيعة له، ومزجَ بها روحَه ونفسه وفِطْرَتَهُ، فلا يصدر منه إلاّ التكذيب والإدبار عن آيات الله؛ فلذلك لا يؤثِّر فيـه نُصْحُ ناصحٍ ولا وَعْـظُ واعظٍ، ولتقريب هذا الأمر يأتي بمثل آخر حيـث يقـول سـبحانه: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾؛ وذلـك لأَنّ اللهث أثرٌ طبيعي لسـجيّته (أي الكلـب) فلا يمكن أن يُخلّص نفسـه منها. هذا هو المشـبَّه به، وهـو يُعرب عـن أنَّ الهدايـة والضلالة بيـد الله تبارك وتعالى، وقد تعلقت مشـيئته بهداية الناس، بشرط الإقبال على الله وأن تتوفـر فيـه أرضية خصبة تؤهله لتعلق مشـيئته تعالى به، فمن أخلـد إلى الأرض ولصق بهـا، أي أخلدَ إلى المـادة والماديات، فلا تشـمله الهداية الإلهية -أي هداية التوفيق- وحسن الختام، بل هو محكوم بالضلال، لكنه ضلالٌ اختياريٌّ مكتَسَبٌ.

وقيل: إنّ المراد بالآيات أُمية بن أبي الصلت الثقفي الشـاعر، الذي قال فيه الرسول ﷺ: «آمن شِعْرُه وكفر قلبه»، وكانت قصّتُه أنّه قرأ الكتب، وعَلم أنّ الله سبحانه أرسل رسولًا في ذلك الوقت، ورجا أن يكون هو ذلك الرسـول، فلمّا بعثَ الله سـبحانه سـيدنا

محمدًا ﷺ حَسـدهُ، ومرّ على قتلى بدر فسأل عنهم، فقيل: قُتلوا في حربهم مع النبـي، فقال: لو كان نبيًّا لَمَا قَتل أقرباءه، وقد ذهبَ إلى الطائف ومات بها. وقيـل: إنّ المراد أبو عامر بن النعمان الراهب، الذي سـمّاه النبـي ﷺ «بالفاسـق»، وكان قد ترهّـب في الجاهلية ولبسَ المسـوح (ثياب الكَهَنَة)، فقدِم المدينـة، فقال للنبي ﷺ: ما هـذا الذي جئتَ به؟ قـال: «جئتُ بالحنيفية ديـن إبراهيم»، قال: فأنا عليها، فقال ﷺ: «لستَ عليها، ولكنّك أدخلتَ فيها ما ليس منها». فقال أبو عامر: أماتَ اللهُ الكاذبَ منَّا طريدًا وحيدًا، فخرجَ إلى أهل الشـام وأرسلَ إلى المنافقين أن اسـتعدّوا السلاح، ثمّ أتى قيصر وأتى بجندٍ ليُخرِج النبي ﷺ من المدينة، فماتَ بالشام طريدًا وحيدًا وكافراً.

وفي هذه الآيات دلالة واضحة على أنّ العِبرة في معرفة عاقبة الإنسـان هي أُخريات حياته؛ وذلك لأن الأمور بخواتيمها. والله أعلم.

المثل الثامن عشر

سورة التوبة (مدنية): وترتيبها التاسعة في المصحف الشريف

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩﴾.

معاني الكلمات:

- ضِرَارًا: أي: لأجل الإضرار.
- وَإِرۡصَادًا: الإعداد والانتظار والتَّرَقُّب.
- ٱلۡحُسۡنَىٰ: الخير والحال الأحسن.
- لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدًا: أي: لا تُقِمْ فيه الصلاة أبدًا.
- ٱلتَّقۡوَىٰ: خصلة من الطاعة يُحترَز بها عن العقوبة (خوف من الله).

- يَتَطَهَّرُواْ: يتنظفوا من الخبث المعنويِّ والماديِّ.
- بُنْيَـٰنَهُۥ: مصدر (بَنى)، وهو مكان مُشَيَّدٌ، ولـه حوائط يرتاده الناسُ.
- وَرِضْوَٰنٍ: رجاءَ رضى الله تعالى.
- شَفَا: طـرف أو حرف، (ويُضرب به المَثل في القرب من الهلاك أو السقوط).
- جُرُفٍ: جُـرُفُ الـوادي جانبُه الذي يتحفّر أصلـه بالماء، وتجرفه السيول فيبقى واهيًا.
- فَٱنْهَارَ: السقوط.

تفسيرُ الآيات:

ذكر المفـسّرون أنّ بني عمرو بن عوف اتخذوا مسـجد قباء، وبعثوا إلى رسـول الله ﷺ أن يأتيهم، فأتاهم وصلّى فيه، فحسدهم جماعـةٌ من المنافقين مـن بني غُنْم بن عوف، فقالوا: نبني مسـجدًا فنصلّي فيه ولا نحضر جماعة محمد، فبنوا مسجدًا إلى جنب مسجد قبـاء (وقيل: إن أبا عامر الراهب الفاسـق هو الـذي أمرهم ببنائه ليكون وكرًا للتآمر والكيد لرسول الله وأصحابه)، فلمّا فرغوا منه أتوا رسول الله ﷺ وهو يتجهّز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إنّا قد بنينا مسجدًا لذي العلّة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنّـا نحبّ أن تأتينا فتصـلّي فيه لنا وتدعو بالبركة، فقال ﷺ: «إنّي

على جناح سفر، ولو قدِمنا أتيناكم إن شاء الله فصلّينا لكم فيه»، فانصرفَ رسول الله ﷺ إلى تبوك، ولما عاد نزل عليه الوحي بشأن مسجد الضرار، ونزلت الآية ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾، فبعث مالكَ بن الدخشم مع رهط من أصحابه فقال: «انطلقوا إلى هذا المسجد الظالمِ أَهْلُهُ فدمِّروه».

إنّ الآية تشير إلى الفرق الشاسع بين مَن بنى بنيانًا على أساسٍ مُحكَم في وسط الأرض، ومَن بناه على طرف الوادي، فالأول يبقى عبر العصور ويحتفظ بكيانه في الحوادث المدمِّرة، بخلاف الثاني، فإنّه سوف ينهار لا محالة بأدنى ضربة أو مطر شديد.

فالمؤمن هو الذي يعقد إيمانه على شرع الله وتعاليمه وعلى قاعدة محكمة ووسطية، وهو الحقّ الذي هو «تقوى الله» وطلب رضوانه، بخلاف المنافق (الذي يُظْهِر خلافَ ما يُبْطِن) فإنّه يبني إيمانه (أي اعتقاده الخاطئ) على أضعف القواعد، أوعلى طرف الشيء ليراه الناس، ولكنه سرعان ما يسقط عند أيِّ امتحان، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: إن الله سبحانه يحرم من ظلم ونافق الناس وأصرَّ على نفاقه من هدايته، وبذلك تظلُّ نفوسُهم مضطربةً حتى يهلكوا وهم كافرون؛ وذلك لِتوغُّلهم في الظلم والشر والفساد. والله أعلم.

ملاحظة لطيفة:

يجب التنبيه إلى أن بعضَ أعمالِ الخير قد تُحَوَّل إلى وسائل للشر والإضرار بالإسلام وأهله، وهذا ما نشاهده كثيرًا في هذه الأيام من تكوين جماعات إسلامية متشددة (وقد تكون من الخوارج) ظاهرها الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتباع شرعة الله، (وتكون غايتها الحقيقية السلطة والهيمنة باسم الشرع) وهذا يضر بالمسلمين كثيرًا، والإسلام براء من هؤلاء. والله أعلم.

المثل التاسع عشر

سورةُ يونس (مكية): وترتيبها العاشرة في المصحف الشريف

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾.

معاني الكلمات:

- مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا : صفة الحياة التي نعيشها، والمثل المنطبق عليها والمتفق معها.
- كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ : المطر.
- فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ : الاختلاط هو تداخُل الشيء بالشيء، فالمطر ينفذ في النبات فيصير سببًا لنباته وحسنه وخضرته.
- مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ : كالحبوب والفواكه والخضار والأعشاب.

- وَٱلْأَنْعَٰمُ : الجمال والماعز وما شابهها.

- أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا : نُضْرَتَها وبهجتها، فشُبِّهت الأرض بالعروس إذا لبست الثياب الفاخرة من كلّ لون.

- وَٱزَّيَّنَتْ : أصله: تزيّنت (من الحسن والجمال) بالزهور.

- قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ: أي: مُتَمَكِّنون من استثمارها والانتفاعِ من زرعها وإعمارها.

- أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا : قضاؤنا بإهلاكها وتدميرها عقوبةً لأصحابها.

- حَصِيدًا : مُسْتأصَلًا، أي: ليس فيها شيء قائم.

- كَأَن لَّمْ تَغْنَ: كأنْ لم يَنبُت زرعُها.

- نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ : أي: نبيِّن الآيات القرآنية والكونية.

- دَارِ ٱلسَّلَٰمِ : من أوصاف الجنة؛ لأَنّ أهلها سالمون من كلّ مكروه، بخلاف المقام في الدنيا؛ فإنّها دار ابتلاء.

- صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ : الطريق القويم، أي: طريق الإسلام.

تفسيرُ الآيات:

أرضٌ خصبة رابية صالحة، وقد قام صاحبها باستثمارها من خلال بذر وغرس كلِّ ما ينبت فيها، فلم يزل يتعاهدها بمياه الأمطار والسقيا، فَغَدَتْ روضةً غنّاء مكتظّةً بأشجارٍ وزروعٍ ونباتات متنوِّعةٍ، وصارت كأنّها عروس تزيّنت وتبرّجت، وأهلها

مزهـوّون بها يظنّون أنّهـا بجهدهم ازدهـرت، وبإرادتهم تزيّنت، ويتوهَّمون أنهم قـادرون على كل شيء فيها، وأنّهم أصحاب الأمر لا ينازِعهـم فيها مُنازِعٌ، فيعقِدون عليها آمالًا طويلة، وهنا وقعوا بذنب مُهلِك، وهو الشرك -والعياذ بالله-، فباغتهم أمرُه سبحانه ليلًا أو نهارًا فجعل الزرعَ يابسًا هشيمًا، كأنّه لم يكن هناك جنّة.

هذا هو المشـبّه به، والله سـبحانه يمثّل الدنيـا بهذا المثل؛ فإنّ الإنسـان ربّما يغترّ بالدنيا، ويعمل لها، ويُعوِّل عليها، ويجعلها كلَّ همه، بالرغم من سرعة زوالها وفنائها، وعدمِ ثباتها واستقرارها.

أو قد شـبَّه الحيـاة الدنيا بالمـاء فيما يكون به مـن الانتفاع ثمّ الانقطـاع، أو شـبّهها بالنبات على مـا وصفه من الاغـترار به ثمّ المصـير إلى الـزوال. وهـذا من قبيـل الاسـتعارة التمثيلية، حيث يعـبّر عن عدم الاعتماد والاطمئنان إلى الدنيا بما جاء في المثل، وإنّما اللائق بالاعتماد هو طريق دار السلام (الجنة) التي هي سلام على الإطلاق، من خلال اتباع الطريق القويم (طريق سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم). والله أعلم.

ملاحظة لطيفة:

هناك فرقٌ بين أن نجعل متاع وزخارف الدنيا في قلبنا ونعملَ لأجلها، وبين أن تكون وسـيلةً للحيـاة الأُخروية فنعمل فيها كما أراد الله سـبحانه وتعالى، فنحن -في الحقيقة- مأمورون أن نعمل

في هـذه الدنيا لكسـب العيش لاسـتمرار الحياة، ولكـنْ بالطُّرق المسـتقيمة السـليمة والصحيحة التي هدانا الله إليها ورسوله ﷺ، ولا ينبغي أن نجعل هذه الأدوات والوسائل التي نتعايش بها هي الغايةَ التي نعمل لأجلها، بل تكون وسـيلةً لحياة شريفة على وجه هذه الأرض ولكَسْـبِ رضى الرحمـن؛ ليجازينا على طاعته وعن هـذه الأعمال الصالحة خير الجزاء في الآخـرة، ويُنْعِمَ علينا بالحياة الأبدية في الجنة.

كـما يجب على الإنسـان أن لا يغـترَّ بما يعمل، وأن لا ينسـى فضـل الله عليه، والمؤمن الصادق يرى فضـل الله عليه في كل أمر (ولو كان ظاهره بلاء). والله أعلم.

المثل العشرون

سورة هود (مكية): وترتيبها الحادية عشرة في المصحف الشريف

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

معاني الكلمات

- وَأَخۡبَتُوٓاْ : الخشوعُ إلى الله وطاعَتُهُ.
- خَٰلِدُونَ : الدوام.
- ٱلۡفَرِيقَيۡنِ : فريق المؤمنين وفريق الكافرين.
- أَفَلَا تَذَكَّرُونَ: أي: تتَّعِظُون فتستغفروا ربكم ثم تتوبوا إليه.

تفسيرُ الآيات:

يُصوّر سبحانه (الكافر) بالأعمى والأصمِّ، و(المؤمن) بالبصير والسميع، ثمّ ينفي التسوية بينهما من حيث قدرة واستطاعة كلٍّ منهما، لا من باب التفاضل عند الله سبحانه، وقد قال سبحانه

في حقّ الكافر: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ هود/ ٢٠. والمراد أن لهم أسماعًا وأبصارًا، ولكنّهم لم يكونوا يستخدمونها في سماع الآيات (القرآنية والكونية) ورؤية الحقائق، فَنَفْيُ الاستطاعة كنايةٌ عن عدم استخدام الأسماع والأبصار كما ينبغي، ثمّ إنّه سبحانه وصفَ أصحاب الجنة بأوصاف ثلاثة:

أ: الإيمان بالله.

ب: العمل الصالح.

ج: التسليم إلى الله، حيث قال: ﴿وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، فالمؤمن هو الذي يسمع آيات ربه ويبصرها في سبيل ترسيخ الإيمان في قلبه وإثماره بالأعمال الصالحة، كما أنّ التسليم والانقياد والخضوع والاطمئنان لِما وعدَ الله من آثاره أيضًا.

ثمّ إنّه مثّل الكافر والمؤمن بالمثل التالي، قال: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، فمثّل فريق المسلمين المؤمنين بالبصير والسميع، ومثّل فريق الكافرين بالأعمى والأصم؛ لأَنّ المؤمن ينتفع بحواسه بإعمالها في معرفة المُنْعِم وصفاتِه وأفعالِه، ويعمَل لمَرْضاتِه بأعمال الدنيا لإعمار الأرض؛ لِيَنال ثواب الآخرة كما وعده ربُّ العِزَّة، والكافرُ لا ينتفع بهذه الحواس، فصارت بمنزلة المعدومة. وحاصلُ الكلام: أنّه لا يستوي البصير والسميع مع الأعمى والأصم، والمؤمن والكافر أيضًا لا يستويان (بقدراتهما)؛ ولذلك

وجب التفكُّر والتذكُّر والاتِّعاظ والعبرة والعودة والتوبة إلى الله سبحانه. والله أعلم.

وقال الدكتور راتب النابلسي في بعض تجلياته حول هذه الآيات: إن تقسيمات البشر لا تُعدُّ ولا تُحصى، أعراق وألوان وجنسيَّات، ودول متقدِّمة وأخرى نامية، إلى ما هنالك، والحقيقة أن هؤلاء البشر لا يزيدون عن صنفين -على اختلاف مِلَلِهم وعلمهم وانتماءاتهم وأعراقهم وطوائفهم وميولهم-، هاذان الصنفان: مؤمن وكافر، مُقْبِل ومُدْبِر، ومُحْسِن ومُسيء، وأعمى وبصير، وأصم وسميع... وليس من الصعب أن تكون مع الفريق المستنير المؤمن، والسبب أن الله عز وجل لا يكلِّف نفسًا إلا إذا كان التكليف ضمن وُسْعِها.

كما أن الفرق بين المؤمن وغيرالمؤمن كبير جدًّا، كالفرق بين إنسان بصير وآخر أعمى، وكإنسان سميع وآخر أصم، كإنسان يتقلب في رحمة الله، وآخر يتقلب في غضب الله، إنسان أموره ميسرة وآخر أموره معسرة، لايستوون، والدليل: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ الليل/ ١-١١.

المؤمن عنده راحة نفسية؛ لأن علاقته مع جهة واحدة هي الله

عــز وجل، هذه الجهة غنية، قوية، خبــيرة، عليمة، حكيمة، وتحبه ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ المائدة/ ٥٤. ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ القلم/ ٣٥-٣٦.

فالله سبحانه وتعالى يحميه من كل أعدائه ويرزقه من حيث لا يحتسب... إن أسعد الناس من يشعر أن الله معه في كل حين. والله لو أن المؤمن أكل أخشن الطعام وسكن بأصغر بيت وهو يشعر أن الله يحبه وأبدله مستقبلاً كبيراً والآخرة فاز بها فهو أسعد الناس... لذلــك لو يعلــم الملوك ما نحن عليــه لقاتلونا عليه بالســيوف... والحمد لله رب العالمين.

المثل الواحد والعشرون

سـورة الرعد (مدنية): وترتيبها السـورة الثالثة عشـرة في المصحف الشريف

﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤﴾.

معاني الكلمات:

- لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ: أي لله تعالى دعوة الصدق؛ لأنه هو الذي يستجيب.
- مِن دُونِهِۦ: من غير الله عزوجل.
- كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ: الذي يمد يديه.
- لِيَبۡلُغَ فَاهُ: ليبلغ الماء فمه.
- ضَلَٰلٖ: ضياع لا طائل منه.

تفسيرُ الآية:

إضافة الدعوة إلى الحقّ من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة، أي: الدعـوة الحقّـة لـه (لله)؛ لأَنّ الدعوة عبارة عـن توجيه نظر

المدعـوِّ إلى الداعي، والإجابة عبـارة عن إقبال المدعوِّ إلى الداعي، وكِلا الأمرين يختصَّان بالله عزّوجل، وأمّا غيره فلا يملك لنفسـه ضرًّا ولا نفعًـا، ولا موتًـا ولا حياة ولا نشـورًا، وعند ذلك كيف يمكن لغيره سبحانه أن يجيب الدعاء؟!

وبذلك يُعْلِمنا الله أنّ الدعوة على قسمين: دعوة حقَّةٌ، ودعوة باطلةٌ، فالدعوة الحقّة هي لله، ودعوة غيره هي دعوة باطلة؛ إما لأنّ غيره لا يسمع ولا يقدر (كالأصنام)، أو يسمع ولا يقدر (كزعماء الكفر)، وأشـارَ إلى القسـم الباطل بقوله: ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ﴾، أي: لا يقدرون أصلًا في كل الأحوال على الاستجابة.

ثمّ إنّه سـبحانه اسـتثنى صورة واحدة من عدم الاستجابة، لكنّه اسـتثناء صُورِيٌّ، وهو في الحقيقة تأكيدٌ لعدم الاسـتجابة في كل الأحوال، وقال: ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ﴾، فدعوة الأصنام والأوثان وطلبُ الحاجة منهم أشبهُ بحال الظمآن الجالسِ على حافة البئر، والباسـطِ كفَّه داخـل البئر ليبلغ الماءُ فمَه ليـشرب، مع البَوْنِ البعيد (الفرق الشاسـع) بينه وبين الماء متوهماً أنه يستطيع ذلك. ثمّ إنّه سبحانه يقول في آخر الآية: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾، فإنّ الضلالَ عبارةٌ عن الخروج عن الطريق، وسلوكِ مـا لا يُوصِـل إلى المطلـوب، ودعاءُ غـير الله خروجٌ عـن الطريق الموصِل إلى المطلوب، فأيّ ضلال أوضح من ذلك؟؟ والله أعلم.

المثل الثاني والعشرون

سورة الرعد (مدنية):

﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾.

معاني الكلمات:

- أَوْدِيَةٌۢ : سفحُ الجبل العظيم، المنخفِضُ الذي يجتمع فيه ماء المطر والسيول.
- بِقَدَرِهَا : بمقدار مائها الذي يجري فيها.
- فَٱحْتَمَلَ : رفع الشيء على الظهر بقوّة الحامل.
- ٱلسَّيْلُ : المياه الجارفة المليئة بالتراب والطين.
- زَبَدًا : هو خَبَثُ الغليان، وكذلك غثاء السيل (الفُتات) الذي يطفو على الماء أثناء جريانه في الأنهار.
- رَّابِيًا: عاليًا على سطح المياه، وقد يعني مُتكاثِرًا.

- وَمِمَّا يُوقِدُونَ : الإيقاد: إلقاء الحطب في النار

- حِلْيَةٍ : من الحُلِيِّ الذي يُتَزَيَّنُ به.

- مَتَاعٍ : ما يُتَمتّع به من أشياء وأموال وما يُرغَب في اقتنائه.

- ٱلْحَقَّ : في اللغة هو الأمر الثابت، ويقابله الباطل، فالحق ـ بمفهومه الواسع ـ يشمل كلَّ موجود ثابت لا يطرأ عليه التحوُّلُ والتبدُّلُ.

- جُفَآءً : يُقال: أجفأتِ القِدرُ بِزَبَدِها، إذا ألقَتْ (رمت) زبدَها خارجًا.

- فَيَمْكُثُ : البقاء في المكان عبر الزمان.

تفسيرُ الآية:

إنّ هذه الآية تُمثّل للحقّ والباطل مَثلًا واحدًا يَستبطِنُ تمثيلاتٍ متعدِّدةً:

الأول: أنّ السيل المتدفِّق من أعالي الجبال، الجاري في الوديان يحمل معه في سَيْره زَبدًا رابيًا عليه، فالحقُّ كماءِ السيل، والباطلُ الزَبدُ المحمول.

الثاني: أنّ المعادن المختلطة بالشوائب إذا أُوقِدت عليها النار تُذاب ويعلو عليها الخبث (الشوائب)، فالغاية من الإذابة هي فَصْلُ المعادن عن خبثها وزبدها، وعندئذٍ فالحقّ كالذهب والفضّة

والمعادن النفيسة، والباطل كخَبثها وزَبدها الطافح.

الثالـث: أنّ ما له دوامٌ وبقاءٌ ومُكْثٌ وينتفع به الناس (كالماء ومـا يُتَّخذ للحِليـة أو المتاع) يُمثّل الحقّ، ومـا ليس كذلك (كزَبد السـيل وخَبَثِ القدر الذي يذهـب جفاءً ويُرمـى خارجًا) يمثِّل الباطل (الفاسد، الذي لا خير فيه).

وأمّا التفصيل، فهو في توضيح الآية كما يلي:

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ﴾، أي: عنـد نـزول الأمطار تسـيل المياه في الأودية على حسب السعة والضيق والكِبر والصغر لكلِّ وادٍ (بِقَدَرِهَا) أي: كلٌّ يأخذ بقدره، فَفَيْضُهُ سبحانه عـامٌّ لا يُحدَّد، وإنّـما التحديد في الآخذ، فكلٌّ يأخـذ بقدره وَحْدَهُ بقـدر قابليَّته، كما أنَّ السـيلَ المُنحدِرَ من أعالي الجبـال مُطلَقٌ غيرُ محدَّد، ولكن يسـتوعب كل وادٍ من ماء السيل بقدر قابليَّته وَسَعَتِهِ (وكذلـك الإيـمان)، ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ أي: طافيًا عاليًا فوق الماء، ثمّ إنّ الزَبد لا ينحصر بالسيل الجارف، بل يوجد طافيًا أيضًاعلى سطح أنواع الفلزات والمعادن المذابة التي يُصاغ منها الحلي للزينة والأمتعة، كما قال سبحانه في المثل الثاني: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾. ثـم قـال: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾، أي: كذلك يوصَـف الحقُّ والباطلُ ليأخذ طريقه بـين الناس، ثمّ أشـار إلى المثـل الثالث، وهو أنّ من سِـمات الحقّ بقاؤُهُ وانتفاعُ الناس به ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾؛ حيث إنّ زبد

السيل وزَبد ما يوقدون عليه يُلقى خارجًا بعد مدّة قصيرة كأنْ لمْ يَكُنْ شيئًا مذكورًا، فيذهب جُفاءً باطلًا مُتلاشِيًا. ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فأما الماء الخالص ــ أو المعادن الخالصة التي فيها انتفاع الناس ـ فيمكث في الأرض.

هذا ما يرجع إلى تفسير ظاهر الآية، لكنّ الآية من الآيات القرآنية التي تبحث عن طبيعة الحقّ والباطل وتكوُّنهما، وكيفية ظهورهما، والآثارِ المترتِّبةِ عليهما، حيث يمكن أن يُستفاد من الآية:

١- أنّ الإيمان والكفر من أظهر معايير الحقّ والباطل، ففي ظل الإيمان بالله تبارك وتعالى حياةٌ للمجتمع وإحياءٌ للعدل، فالأمّةُ التي لم تَنَلْ حظَّها من الإيمان يسودها الظلم والأنانيّة وانفراط الأواصر الإنسانية التي تعصف بالمجتمع الإنساني إلى الهاوية.

٢- أنّ الزَبد أشبهُ بالسَّاتِر الذي يستر وجهَ الحقِّ مدةً قصيرة، ولكنْ سرعان ما يزول وينطفئ ويَظْهَرُ وجهُ الحقيقة.

٣- أنّ الماء والفلزات منبع البركات والخيرات، والزَبد خَبث لا يُنتفَع منه، فهكذا الحقّ والباطل، فكل ما هو الحقّ كالإيمان والعدل ينتفع به الناسُ، وأمّا الباطل كالكفر والظلم فلا ينتفع منه الناس.

٤- أنّ الماء فيضٌ مادي يفيضه الله سبحانه من السماء على الوديان

والصحاري، فكلٌّ يأخذ بمقدار سعته، وهكذا الحال في الأرواح والنفوس، فكلُّ نفس تنال حظّها من المعارف الإلهية حسب قابليتها، وفي الحديث النبوي: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضّة» (رواه البخاري ومسلم).

٥- أنّ الماء يمكث في الأرض وينفذ في أعماقها ويبقى عبر القرون، حتى ينتفع به الناس من خلال استخراجه، فهكذا الحقّ، فهو ثابت لا يزول، ودائمٌ لا يَضْمَحِلُّ، على طرف النقيض من الباطل، فللحقّ دولة وللباطل جولة.

٦- أنّ الباطل ينجلي بأشكال مختلفة، كما أنّ الزَبد يطفو فوق الماء والمعدن المذاب بأشكال مختلفة، فالحقّ واحد وله وجه واحد، أمّا الباطل فله وجوه مختلفة حسب بُعده من الحقّ وتَضادِّه معه.

٧- أنّ الباطل في وجوده رهن وجود الحقّ، فلولا الماء لَما كان هناك زبد، فالآراء والعقائد الباطلة تستمدّ مقوِّماتها من خلال تحريف في أركان العقائد الحَقَّةِ وتزييفها، وقد يتكاثر وقد يكون للباطل جولة، وإليه يشير سبحانه: ﴿فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗا﴾، ولكنه في النهاية لا يصمد في وجه الحق.

٨- أنّ في تشبيه الحقّ بالماء والباطل بالزبد إشارةً لطيفةً إلى أنّ الباطل كالزبد، فكما أنّه موجود في الماء الذي له هيجان

واضطراب، والذي لا يجري على منوال هادئ، فهكذا الباطل إنّـما يظهر في الأوضاع المضطربة التي لا يسـودها أيّ نظام أو قانون.

٩- أنّ حركـة الباطل - وهـي مؤقتة - إنّما هي في ظـل حركة الحقّ ونفوذه في القلوب، فالباطل يركب أمواج الحقّ بُغيةَ الوصول إلى أهدافـه، كما أنّ الزبد يركب أمواج المـاء فيحتفظ بوجوده ولو لمدة قليلة بعدها يضمحل. والله أعلم.

المثل الثالث والعشرون

سـورة إبراهيم (مكية): وترتيبها السـورة الرابعة عشـرة بالمصحف الشريف

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨ ﴾.

معاني الكلمات:

- كَرَمَادٍ: ما يبقى بعد احتراق الحطب والفحم، وهو خفيف بحيث تُطيِّره أقلُّ نسمة من الهواء.
- ٱلرِّيحُ: اندفاع الهواء الشديد.
- يَوۡمٍ عَاصِفٖ: أيك شديد الريح.
- يَقۡدِرُونَ: من تقدير وتحصيل الثواب والجزاء الحسَن في الآخرة.
- مِمَّا كَسَبُواْ: مما حصَّلوا من أعمالهم الدنيوية مثل أعمالهم الصالحة.
- ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ: الابتعاد عن الحق ابتعادًا كبيرًا.

تفسيرُ الآية:

شبَّه اللهُ سبحانه أعمال الكافرين (في عدم الانتفاع بها) برمادٍ في مهبِّ الريح العاصف، وجعلَ العصف صفةً لليوم مع أنّه صفة للريح لأجل المبالغة، فكما لا يقدر أحد على جمع ذلك الرماد المتفرِّق، فكذلك هؤلاء الكفار لا يقدرون أن يكسبوا من أعمالهم أي شيء، فلا ينتفعون بأعمالهم البتّةَ، ولا يَحْصلون على ثوابٍ عليها فى الآخرة. (والمراد من أعمالهم: ما يُعدّ صالحًا في نظر العرف، كصلة الأرحام، وأعمال الخير، والتبرعات، والاكتشافات العلمية، والاختراعات والتكنولوجيا، والإعمار...إلخ التي تفيد البشرية وهي مطلوبة لكن بشرط أن تكون خالصة لوجه الله)؛ لأنّهم بنوا أعمالهم على غير الإيمان بالله ربًّا واحدًا ومعرفتِه وإطاعة أوامره؛ فلا يستحقُّون شيئًا على هذه الأعمال في الآخرة. (والله أعلم بجزائهم يوم الحساب).

وأمّا الأعمال التي تُعدُّ من المعاصي الموبقة، فهي خارجة عن مراد الآية؛ لوضوح حكمها. والآية دليل على أنّ الكافر لا يُثاب بأعماله الصالحة يوم القيامة إذا أتى بها غيرَ مؤمنٍ بالله، فكلُّ سعيٍ على غير قاعدة من تقوى الله وتوحيدِه وطاعتِه هو الضلال البعيد عن الصراط المستقيم؛ فعمل بلا إخلاص وتقوى كجسد بلا روح.

وقال الدكتور راتب النابلسي في تفسير هذه الآية:

الله عـزَّ وجل يعجَبُ من هذا الـذي يفعل ما يتمنَّى ولا يعبأ بالنتائج... الإنسـان أحيانًا في سـفره يخطئُ الطريقَ خطأً يسـيرًا، وإصلاح هذا الخطأ يحتاج إلى نصف ساعة مثلًا، لكنْ لو قطع ألف كيلـو متر بالخطأ، إصـلاح هذا الخطأ يحتاج إلى أيـام... فالضلال البعيـد: الابتعـاد عن الحـق ابتعادًا كبـيرًا جـدًّا، فالترميم صعب لذلـك، الله عزوجـل عجِـب من هذا الـذي يفعل مـا يتمنى وما يشـتهي ولا يعبأ بالنتائج، قـال تعالى: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ البقرة/ ١٧٥.

أعمال الكفار (وأمثالهم) تُشبِه رمادًا ﴿ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖ﴾، أعمالهـم تلاشـت في الآخـرة: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ الفرقان/ ٢٣. ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾؛ وذلك لعدم إيمانهـم لابتعادهم عن الله وأوامره ونهيه وعدمِ الإقبال عليه عز وجل، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾.

بطولـة الإنسـان أن يكون عملـه وفقَ منهـج الله عزوجل، وأن تتوافق مقاييسـه مع مقاييس القرآن، ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ آل عمران/ ١٨٥. والحمد لله رب العالمين.

المثل الرابع والعشرون

سورةُ إبراهيم (مكية):

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

معاني الكلمات:

- كَلِمَةً طَيِّبَةً : هي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).
- كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ : هي النخلة (أو مثلها).
- أَصْلُهَا ثَابِتٌ : جذرها ثابت في الأرض.
- وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ : فروعها عالية.
- أُكُلَهَا : ثمرها الذي يؤكل منه كلَّ حينٍ، وهو البلح والتمر.
- بِإِذْنِ رَبِّهَا : بقدرته ومراده وتسخيره.
- يَتَذَكَّرُونَ : ليتعظوا فيؤمنوا ويعملوا الصالحات فينجوا من عذاب الله.

تفسيرُ الآيات:

جاء المثل في هذه الآية أنَّ الإيمان ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ لها الصفات التالية:

أ- أنّها طيّبة، أي: طاهرة ونظيفة في مقابل الخبيثة؛ فإنّ الشجر على قسمين: منه ما هو طيّبُ الثمار كالتِّين والنخل والزيتون وغيرها، ومنه ما هو خبيث الثمار كالحنظل وشجرة الزقوم.

ب- أصلها ثابت، أي: لها جذورٌ راسخة في أعماق الأرض، لا تُزعزعها العواصفُ الهوجاء ولا الأمواج العاتية.

ج- فرعها في السماء، أي: لها أغصان مرتفعة، فهي بجذورها الراسخة تحتفظ بأصلها، وبفروعها في السماء، وتنتفع من نور الشمس والهواء والماء، كما أنّها لا تتلوّث بما على سطح الأرض.

د- ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾، أي: في كلّ فصل وزمان، وهي دائمة الإثمار في كل وقت وقّته الله لإثمارها، كما أنه يُستفاد من جميع مكوِّناتها: الساقِ والسعفِ وغيرها.

هذا حال المشبَّه به، وأمّا حال المشبَّه فهو الاعتقاد بالحقِّ الثابت والعمل به وله، أي: التوحيد والعدل، وما يلازمهما من الاعتقاد باليوم الآخر، فهذه عقيدة ثابتة طيّبة لا يشوبها شيء من الشرك والضلال، ولها ثمارها في الحياتين (الدنيا والآخرة)،

كشجرة الإيمان في القلب تُخْرِج ثمارَ الطاعات والخيرات والفضائل والأخلاق وما فيه صلاح النفس والناس.

ثمّ إنّه سبحانه ختمَ الآية بقوله: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، أي: ليرجعوا إلى فطرتهم فيتحقّقوا من أنّ السعادة رهنُ الاعتقادِ الصحيح المُثْمِرِ في الحياتين (الدنيا والآخرة).

والمراد التمثُّل بكلمة التوحيد عملًا لا مجرَّدَ التلفُّظ بها، حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الأحقاف/ ١٣. وقد أشارَ سبحانه إلى العقيدة الصحيحة بقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ فاطر/ ١٠. فالكلِمُ الطيّب هو العقيدة، والعمل الصالح يرفعُ تلك العقيدة ويُعْلي من شأنها عند الله سبحانه.

وقال الدكتور راتب النابلسي في شرح هذا المثل:

في الحديث الشريف عن أبي هريرة: «الكلمة الطيبة صدقة» (متفق عليه). بطولة الإنسان أن يَعُدَّ كلامَه مِن عمله، فالكلمة الطيبة تُمَتِّنُ العلاقاتِ بين الناس وتطيِّب القلوب، فَلْنُعَوِّدْ أنفسَنا على الكلمة الطيبة، كلمةِ التواصل، كلمةِ العفو، كلمةِ التشجيع...

الكلمة الطيبة لها جذورٌ عميقةٌ جدًّا متعلقةٌ بمنهج الله، متعلقةٌ بعلة وجودِك في الدنيا، متعلقةٌ بالآخرة، تنطلق الكلمة الطيبة من

مبادئ وقيـم، من صلة بالله عزوجل وكذلـك العمل الصالح...
﴿أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ﴾. والله أعلم.

المثل الخامس والعشرون

سورةُ إبراهيم (مكية):

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾.

معاني الكلمات:

- كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ : رديئة، مكروهة، فاسدة.

- ٱجْتُثَّتْ : اقتُلِعَتْ جُثتُها، أي: جسمها.

- قَرَارٍ : ثبات.

تفسيرُ الآيات:

مثَّل سبحانه -في الآيات السابقة (المثل الرابع والعشرون)- للعقيدة الصالحة بالشجرة الطيِّبة، ومُقتضى الحال أن يمثّل للعقيدة الباطلة بضدّ المثل السابق، فهي على طرف النقيض، فالكفر كشجرةٍ لها هذه الأوصاف:

أ- أنّها ﴿خَبِيثَةٍ﴾، أي: لا يطيب ثمرُها، كشجرة الحنظل والزقُّوم.

ب- ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ﴾، وحقيقة الاجتثاث: اقتلاعُ الشيء من أصله، أي: استُؤصلت جذورُها من الأرض.

ج- ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾، أي: ليس لتلك الشجرة ثباتٌ؛ لأن جذورَها قريبةٌ جدًّا من سطح الأرض، فالريح تنسفها وتذهب بها، وبالتالي ليس لها فروع وأغصان أو ثمار.

هذا هو المشبَّه به، وأمّا المشبَّه فهو العقيدة الضالّة الكافرة التي لا تعتمد على برهان ولا دليل، يُزَعزعُها أدنى شبهة وشَكٍّ؛ فينطبق صدر الآية التالية على المثل السابق في وصف المؤمنين، أي: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا وَفِي الآخِرَةِ﴾، وأمّا المنطبق على هذا المثل فهو القسم الثاني من الآية نفسها: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾.

أي: يُضلّ المشركين الظالمين بحرمانهم من هداية التوفيق والقبول والثبات على الحق؛ وذلك لأجل تقصيرهم في الاستفادة من الهداية الإلهية العامة التي هي متوفِّرة لكل إنسان (الفطرة السليمة، ودعوة الأنبياء، والكتب السماوية)، ولعنادهم بالبقاء على الكفر والشرك وإيذاء المؤمنين.

وقوله: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ بمعنى أنّه تعلّقت مشيئته بتثبيت المؤمنين الموحِّدين وتأييدِهم، وحرمانِ الظالمين من رحمته

وخذلانِهم، ولم تكن مشـيئته عبثًا، وإنّما هي نابعةٌ من حكمة بالغة قد لا نعلمها نحن. والله أعلم.

قال د. راتب النابلسي في تفسير هذه الآية:

الكلمة الخبيثة يهوي بها الإنسـان إلى أسـفل سافلين، فيجب الانتباه من زَلّات اللسان.

تعليقٌ سافِرٌ، تعليقٌ فيه استهزاء، فيه ازدراءٌ يُبْعِد الإنسان عن الديـن، فلْنَحْذَرْ مـن هذه الأمور، ولْنُحافِظْ على ألسـنتنا وأقوالنا وأعمالنا الطيبة، ولتبتعد عن الأعمال السـيئة، والمسـيئة والحمد لله رب العالمين...

المثل السادس والعشرون

سورةُ إبراهيم (مكية):

﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾.

معاني الكلمات:

- وَأَنذِرِ : أَعْلِمْ وخَوِّفْ بالعواقب.
- أَجَلٍ قَرِيبٍ : وقتٍ لاحقٍ قريبٍ.
- أَقْسَمْتُم : حَلَفْتم.
- مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ : ارتحالٌ عن الدنيا إلى الآخرة.
- مَسَٰكِنِ : البيوت والديار.
- وَتَبَيَّنَ لَكُمْ : عرفتم.

- مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ: خططوا بِخُبْثٍ (أي: مكرت قريش بالنبي ﷺ حيث أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه) كما مكر الظالمون قبلهم بأنبيائهم.

تفسيرُ الآيات:

إنّ هذه الآيات تمثّل حال القوم الكافرين الظالمين الذين شاهدوا نزول جزء من العذاب والبلاء في حياتهم قبل موتهم فبدؤوا يُظْهِرون الندمَ على أعمالهم البغيضة، ويطلبون الإمهال حتى يتلافوا ما فاتهم من الإيمان والعمل الصالح، فيردُّ دعوتَهم بأنّ هذا الطلب ليس طلبًا صادقًا، وإنّما ألجأهم إليه رؤيةُ العذاب، فيخاطبهم سبحانه بقوله: ﴿أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ﴾. وبذلك يكون مفاد الآية: حلفتم قبل نزول العذاب والبلاء بأنّه ليس لكم زوالٌ ولا ارتحالٌ من الدنيا إلى الآخرة للحساب، وظننتم أنكم ـ بما تمتلكون من القوّة والسطوة ـ أُمّةٌ خالدة مالكة لزِمام الأُمور، فلماذا تستمهلون؟ ثمّ يخاطبهم في الآية الثانية فيقول سبحانه: ﴿وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾، أي: سكنتم ديار مَن كذّب الرُسل وأهلكهم الله، وعرفتم ما نزل بهم من البلاء والهلاك والعذاب كقوم عاد وثمود، وضربنا لكم الأمثال، وأخبرناكم بأحوال الماضين لتعتبروا فلم تتّعظوا! بل استكبرتم وظلمتم وحاربتم الرسول ﷺ.

وعلى ذلك فالمشبَّه به هو حال الأُمم الهالكة بأفعالها الظالمة، والمشبَّه هو الأمم اللاحقة لهم (ومنهم قريش) الذين لم يؤمنوا وبعد مدة رأوا العذاب (عند الموت) فاستمهلوا الأجل وندموا، ولكن بعد فوات الأوان، فيُوبِّخهم الله هذا التوبيخ، ولا يُجابون لطلبهم، ويُقذَفون في الجحيم في الآخرة، علمًا بأن تأخير العذاب في كل زمان ومكان لم يكن غفلةً عنهم، وإنما هو تأخيرهم إلى أن يحين الوقت المحدد لأخذهم أوعقابهم في الدنيا، وإلى يوم القيامة حسب مراد ومشيئة الله وحكمته.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ﴾، أي: وقد مكر كفار قريش برسول الله ﷺ حيث قرروا حبسه في السجن حتى الموت، أو قتلَه، أو نَفْيَه، وعزموا على القتل ولم يستطيعوه ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾، أي: عِلمُه بما أرادوا به، وجزاؤهم عليه. وقوله: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ فيه استعظامُ مكرِهم وخططِهم الخبيثةِ وإعدادِهم، حتى تكاد الجبال تزول منه، أي: وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال إلا أنه تافهٌ لا وزن له ولا اعتبار عند الله، فلا تحفل به أيها الرسول ولا تلتفت إليه؛ فإنه لا يحدث منه شيء؛ لأنك بمعية الله وحفظه. والله أعلم.

المثل السابع والعشرون

سـورة النَّحل (مكية): وترتيبها السورة السادسة عشرة في المصحف الشريف

﴿وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ٥٦ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ٥٧ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٥٩ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦٠﴾.

معاني الكلمات:

- نَصِيبًا : أي: يجعلون لآلهتهم جزءًا من الحرث والأنعام.
- عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ : تختلقون من الكذب.
- وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ : إذ قالوا: الملائكة بناتُ الله.
- وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ : أي: يريدون ويحبون، وهو الذكور من الأولاد.
- ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا : متغيِّرًا بالسواد لما عليه من كرب.

- كَظِيمٌ: مُمْتلِئٌ بالغمِّ والهمِّ، فيطبق فمَه فلا يتكلم.

- يَتَوَارَىٰ: يستتر ويختفي عن أعين الناس.

- أَيُمْسِكُهُۥ: أيُبْقي المولودَ في بيته مع أولاده.

- عَلَىٰ هُونٍ: على ذل وهوان.

- أَمْ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِ: أي: يدفن تلك المولودة حيةً (وهو الوأد).

- مَثَلُ ٱلسَّوْءِ: الصفة القبيحة.

- وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ: الصفات العليا الحسنى.

تفسير الآيات:

سِياق هذه الآيات في بيان أخطاء المشركين في اعتقادهم وسلوكهم، يخبر الله تعالى عن قبائح المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأصنام والأوثان والأنداد (من البشر) وجعلوا لها نصيباً مما رزقهم الله فقالوا: ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾ (الأنعام/ ١٣٦) أي جعلوا لآلهتهم نصيباً مع الله، فأقسم الله تعالى بنفسه الكريمة ليسألنَّهم عن ذلك الذين افتروه وليقابلنَّهم عليه وليجازينَّهم أوفر الجزاء في نار جهنم، فقال سبحانه ﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾،

وهذا من أسوأ أقوالهم وأقبح اعتقادهم؛ حيث ينسبون إلى الله تعالى البنات -حاشاه-، وقالوا: الملائكة بنات الله، في الوقت الذي يكرهون نسبة البنات إليهم، ثم قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا ﴾، أي: أقام النهارَ كلَّه مُسْوَدَّ الوجهِ عَبوسًا، ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾، ممتلئ بالغم والهم، ﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ﴾ يتخفى من الناس خوفَ المذلَّة مما أنجبت زوجته (أي: البنت)، ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾ فهو في ذلك بين أمرين: إما أن يمسكه (المولود - البنت) ويبقيه في بيته بين أولاده على مذلة وهوان، وإما أن: ﴿يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ أي: يدفنه حيًّا، وهو الوأد المعروف عندهم. قال تعالى منددًا بهذا الإجراء: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ في حكمهم هذا من جهة نسبة البنات إلى الله، ومن جهة وأد البنات أو إذلالهن.

وقوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ﴾، يخبر تعالى أن الذين لا يؤمنون بالآخرة لهم الصفة السوء والأمثال الشنيعة والأوصاف القبيحة؛ وذلك لجهلهم وظلمة نفوسهم؛ لأنهم لا يعملون خيرًا ولا يتركون شرًّا، لعدم إيمانهم بالحساب والجزاء ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: الصفة الحسنى، فهو مُنَزَّهٌ عن النقائص. وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ثناء على نفسه بأعظم وصف للعزة والقهر والغلبة لكل شيء، والحكمةِ العليا في تدبيره وتصريفه لشؤون عباده. والله أعلم...

المثل الثامن والعشرون

سورة النحل (مكية):

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٧٣ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧٤ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقٗا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾.

معاني الكلمات:

- رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ: بإنزال المطر من السماء، ومن الأرض: بإنبات الزرع والثمار.
- فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ: ينهاهم تعالى عن ضرب الأمثال لله باتِّخاذ الأصنام وإطلاق لفظ (إله) عليها.
- لَا تَعۡلَمُونَ: لا يَعلمون قدرة الله، ويتخبَّطون في ظلمات الشرك.
- عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا: أي: ليس بِحُرٍّ، بل هو مملوكٌ لغيره، ولا قرار له، وليس له مَوْرِدٌ ماليٌّ سوى ما يعطيه مالكه.

- يُنفِقُ مِنْهُ: يصرف من خيرات الله على نفسه وأهله، ويتصدق أيضًا على غيره.

- يَسْتَوُونَ: أي: هل يتساوى العبيد الفقراء والأحرار المُتَصَرِّفون بالمال كيفما شاؤوا؟ والجواب: لا، قطعًا (المراد بعدم التساوي هنا التساوي بالإنفاق فقط لا بالقَدر).

تفسيرُ الآيات:

ندّد سبحانه بعمل المشركين الذين يعبدون غير الله، بأنَّ معبوداتِهم لا تُنزِل من السماء ماءً، ولا تعطيهم من الأرض حبوبًا وثمارًا وغيْرَها، ولا تملك لهم رزقًا ولا نفعًا ولا ضرًّا، فكيف يعبدونها مع أنّها من صنعهم، وهي من جماد لا يُرجى منها شيء لا خير ولا شر؟! وإنّما العبادة للإله الواحد الرازق المعطي المجيب للدعوة.

هذا هو المفهوم من الآية الأولى، فإذا تيقنتم -أيها الناس- أن الأصنام والأوثان لا تضرُّ ولا تنفع فلا تجعلوها مُماثِلةً ومشابِهة لله جل وعلا؛ لأن الله سبحانه ليس كمِثْلِه شيء وهو السميع البصير، فأنتم لا تعلمون، وما تعلَّمتموه من آبائكم فهو خطأ عظيم وذنب جسيم. هذا ما جاءت به الآية الثانية.

ثمّ إنّه سبحانه يمثّل لمعبود المشركين والمعبود الحقّ بالمثل التالي:

مملـوكٌ لا يقدر على شيء، ولا يملك شـيئًا حتى نفسَـه، فهو فقـيرٌ ومُحتاجٌ لغيره بتـمام معنى الكلمة، ولا يقـدِر على التصرُّف، ومالكٌ يملك الرزق والمـال، ويقدِر على التصرُّف فيه، فيتصرَّف في ماله كيف شاء، فهل هاذان متساويان في التصرُّف؟ كلّا.

وعلى ضوء ذلك: فمعبوداتُهـم الكاذبةُ (التي صنعوها) مِثلُ العبد المملوك غيرِ المالكِ لشيء، ومَثَلُه سبحانه -الذي ليس كمِثلِه شيءٌ، للتقريب إلى أذهانهم الساذجة- كمَثَل المالك للنعمة، الباذِلِ لها، المُتصرِّف فيها كيف شاء؛ وذلك لأَنّ المعبوداتِ -ما سوى الله سبحانه- هي مخلوقات جامدة، لا تملِك شيئًا، ولا تستطيع شيئًا!

وأمّا الله سبحانه وتعالى، فهو المحمود بكلِّ حَمْدٍ، والمُنعِمُ بكلِّ شيء، فأيّهما يصلح للخضوع والعبادة؟

والمَثَل مـضروبٌ للمؤمن والكافر، فالكافر أسـيرُ الأصنام، عبـدٌ لها، لا يعرِف معروفًا، ولا يُنْكِر مُنكَرًا، وأمَّا المؤمن فهو حُرٌّ؛ يعمـل بطاعـة الله، فينفِق في سـبيل الله سرًّا وجهـرًا، يبتغي الدارَ الآخرةَ والمَثُوبَةَ من الله،لا يخاف إلا الله، ولا يرجو إلا هو سبحانه وتعالى. والله أعلم...

المثل التاسع والعشرون

سورة النحل (مكية):

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾.

معاني الكلمات:

- أَبْكَمُ: وُلِد أخرسَ لا يتكلم، وأصَمَّ لا يَسمع.
- لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ: لا يفْهَمُ ولا يُفْهِم غيرَه.
- كَلٌّ: عِبء ثقيل؛ لعجزه وضعفه وعدم إدراكه.
- مَوْلَىٰهُ: وليِّ أمرِه الذي يرعاه.
- يُوَجِّههُّ: يَدُلُّه ويُرشِده.
- يَسْتَوِى: يتساوى (قدرةً).
- صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ: الطريق القويم الموصل إلى الحق.

تفسيرُ الآية:

هـذا المثل جاء لبيان موقف عابـد الأصنام والمشرك وموقف المؤمـن الصادق، فيُشـبِّه الأولَ بالأبكم الـذي لا يقدر على شيء، والـذي يرعاه غيرُه، ، ويشـبِّه الآخرَ بإنسـان حرٍّ عاقـل عالم يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم.

لو أنَّ رجلًا له هذه الصفات:

أ: ﴿أَبۡكَمُ﴾، لا ينطق، وبالطبع لا يسـمع؛ لِلتَّلازُم بين البَكَم وعدمِ السـماع؛ لأنّه إذا فقدَ السـمع فليس بمقـدوره أن يتعلّم اللغـة، وهو مُبْتَلًى بهذه الصفات طبقًا لمشـيئة الله، وإنما المثل هنا للمقارنة بالقدرة والاستطاعة على الفعل فقط لا على القَدْر.

ب: ﴿لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾، عاجز، ولو قلنا بالإطلاق فهو أيضًا لا يُبْصِر؛ إذ لو أبصرَ لما صحّ أن يُقال في حقّه: إنّه لا يقدر على شيء.

ج: ﴿كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ﴾: أي: عـبء ثقيل على وليِّـه الذي يتولّى أمـره؛ حيث يقوم بإعاشـته ورعايتـه لعجـزه وضعفه وعدم قدرته على شيء.

د: ﴿أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ﴾؛ لعدم استطاعته أن يجلب الخير، فلا ينفع مولاه، فلو أَرسـله إلى أمرٍ لا يرجع بخير(بل وقد يأتي بشرٍّ).

ورجلٌ آخرُ حرٌّ له الوصفان التاليان:

أ: ﴿يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾، ذوعلم وإرادة ومقدِرة قوية يريد إصلاح المجتمع، فمِثْلُ هذا يكون جامعًا لصفاتٍ عُليا، ومُدْرِكًا لِما يُصلح الأمّةَ والمجتمعُ، فينطِق ويأمر بالعدل لعِلْمِه به، ويعمل فيكون معتدِلًا في حياته وعبادته وعمله ومُعاشرته التي هي رمز الحياة.

ب: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾، أي: يتمتّع بسيرة صالحةٍ، ودِينٍ قويم.

فهذا المَثل يبيِّن موقف المؤمن والكافر من الهداية الإلهية.

والله أعلم.

المثل الثلاثون

سورة النحل (مكية):

﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

معاني الكلمات:

- وَأَوۡفُواْ : القيام على ما وَعَد به.
- بِعَهۡدِ : الميثاق والوعد، والمطلوبُ صيانتُهُ والحفاظ عليه.
- نَنقُضُواْ : التراجُع عن القول أو الفعل، بمعنى إفساد الرأي.
- تَوۡكِيدِهَا : التشديد والتأكيد.
- كَفِيلًا : وكيلًا وشاهداً.
- مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ : أي: إحكام.

- أَنكَاثًا : الأنقاض، وكلُّ شيء نُقِضَ بعد الغزل فقد نُكِثَ، حَبْلًا كان أو غَزْلًا.

- أَيْمَٰنَكُمْ: الحلف بالله.

- دَخَلًا: ما أُدخل في الشيء لإفساده، وربّما أُطلِق على الخديعة.

- أَرْبَىٰ : أي: أكثر (عددًا وعُدَّةً).

تفسير الآيات:

إنّ لُزومَ العمل بالميثاق (الوعود والعهود والعقود والأمانات) من الأُمور الفِطْرية التي جُبِل عليها الإنسان؛ ولذلك نرى أنَّ الوالد إذا وعد ولدَهُ بشيءٍ ولم يَفِ به فسوف يعترض عليه الولد؛ ولذلك فإن الوالد حريص أن يفي بوعده لولده، فمن باب أولى أن يفي بعهد الله إذا عاهده، والوفاء بالعهود مع الناس هو من المحاسن الأخلاقية التي اتّفق عليها كافة العقلاء، وقد تضافرت الآيات على لزوم العمل به -وبخاصة إذا كان العهد لله- قال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ الإسراء/ ٣٤. وفي آية ثانية: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ المؤمنون/ ٨...

وقد ورد في الحديث الشريف: «لا إيمانَ لِمَنْ لا أمانةَ له، ولا دِينَ لِمَنْ لاعهد له» رواه أحمد.

* ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴾، يأمر الله بالوفاء بعهده، أي: العهود التي يقطعها الناس مع الله تعالى، ومثلها العهود

التي يقطعونها مع النبي ﷺ وأئمة المسلمين، فكلُّ ذلك عهودٌ إلهية.

* ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾، الأَيْمَان جمعُ (يمين)، وتزداد أهميَّتُها بعد تأكيدها. وبملاحظة الجملتين يُعلم أنّه سبحانه يؤكِّد على العمل بكلّ عهد يُبرَم تحت اسم الله، سواء أكان لله سبحانه أو لخلقه.

ثمّ إنّه سبحانه يُعلِّل تحريمَ نقض العهد بقوله: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾، أي: جعلتم الله كفيلًا بالوفاء، فمَن حلفَ بالله فكأنّه أكفلَ الله بالوفاء.

ويشبه سبحانه ناقِضَ العهد بامرأة تنقُضُ غَزْلَها من بعد إبرامه وإحكامه، قال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾، مُشِيرًا إلى امرأة كانت من قريش، حيث كانت تغزل ما عندها من الصوف والشَعْر، ثمّ تنقض ما غَزَلته في آخر النهار، وقد عُرفت بـ (الحمقاء)، فكذلك حالُ مَن أبرمَ عهدًا مع الله وبِاسمِه ثمّ يُقدِم على نقضه، فعملُه هذا كعملها، بل هو أسوأ منها؛ حيث يدلّ على سقوط شخصيته وانحطاط منزلته، وله سوء العقاب.

ثمّ يبيّن سبحانه الدافعَ لنقض اليمين، ويقول: إنّ الناقض يتّخذ اليمين واجهة على وعده للتَّحايُل، أو يبغي من وراء نقضِ عهدِه ويمينه أن يكون له نفعٌ أكثرُ ممّا عاهدَ عليه، يقول

سبحانه: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾، فقوله: ﴿أَرْبَىٰ﴾ من (الربا)، بمعنى الزيادة، ولكنّ الناقض غافلٌ عن ابتلائه سبحانه، يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، أي: إنّ ذلك امتحانٌ إلهي يمتحنكم به (وسيجازيكم على فعلكم ويحكم بينكم في الآخرة). والله أعلم.

ملحوظات لطيفة:

١ -اليمين عبادة من العبادات؛ فلا يجوز صَرْفُها لغير الله عزوجل؛ لقول الرسولﷺ: «ألا إنَّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالِفًا فَلْيَحْلِفْ بالله، وإلا فليصمتْ» متفق عليه، فمَن حلف بغير الله -سواءٌ كان المحلوف به نبيًّا أم وليًّا أم الكعبةَ أم الأمانةَ أم غير ذلك- فَمِثْلُ هذا يعتبره العديد من العلماء من الشرك الأصغر، فلننتبه لذلك.

٢- إذا حلف إنسان يمينًا على فعل شيءٍ ثم رأى غيرَهُ خيرًا منه يمكن أن ينقض يمينَه ويُكَفِّرَ كفارة يمين؛ لقولهﷺ: «إني والله لا أحلف على يمين فأرى غيرَها خيرًا منها إلا أتيتُ الذي هو خيرٌ وكفَّرتُ عن يميني» رواه البخاري.

المثل الواحد والثلاثون

سورة النحل (مكية):

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

معاني الكلمات:

- قَرْيَةً: المراد هنا (مكة المكرمة)، ولكن الآية تنطبق على كل قرية تفعل فعلَ أهلِ مكة في تلك الحِقبة.
- رَغَدًا: من الرَّغَد: العيش الطيّب الواسع.
- فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ: أي: بالرسول، والقرآن، والأمن، ورَغَد العيش.

تفسير الآيات:

يصف الله سبحانه قريةً بصفات ثلاث:

أ: ءَامِنَةً: أي: يأمن فيها أهلُها؛ فلا يُغار عليهم، ولا تُقْتَل

النفوسُ، ولا تُسبَى الذَّراري، ولا تُنهَب الأموال، وكانت آمنة -أيضًا- من الحوادث الطبيعية كالزلازل والسيول.

ب: ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾ : أي: ساكنة بأهلها؛ لا يحتاجون إلى الانتقال منها لخوفٍ أو ضَيْقٍ؛ فإنَّ ظاهرة الاغتراب إنّما هي نتيجةُ عدمِ الاستقرار.

ج: ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾، فالقريةُ الواردةُ في الآية محلِّ المَثَلِ كانت حاضرةً لِما حولها من الأصقاع؛ فيُنقَل ما يُزرع ويُحصد إليها، بُغْيَةَ بَيعِهِ.

هذه الصفات الثلاث تعكس النِّعم المادّية الوافرة التي حظيت بها تلك القرية (مكة).

ثمّ إنّه -سبحانه- يشير إلى نعمة أُخرى حظيتْ بها مكة، وهي نعمةٌ معنوية، وهي بعث الرسول إليها، ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾. وأهل مكة أمام هذه النِّعم الظاهرة والباطنة كفروا بها، أما النعمة المعنوية -أي: الرسول- ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ كما هو صريح الآية الثانية، وأمّا النعمة المادّية فالآيةُ ساكتةٌ عنها، غيرَ أنَّ آياتٍ كثيرةً تكشف لنا كُفرانَهم تلك النِّعم.

وكان عاقبة كفرِهم بالنِّعَم المادية: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾، وأما جزاء كفر النعمة المعنوية: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

وثَمَّةَ سؤالٌ مطروح هنا، وهو: أنّه سبحانه جمعَ في الآية الأولى بين الذوق واللباس، فقال: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾، مع أنّ مقتضى استعمال الذوق أنْ يُقال: (فأذاقها الله طعمَ الجوع)، ومقتضى استعمال اللباس أن يُقال: (فكساهم الله لباس الجوع)، فَلِمَ؟

والجواب: أنَّ استخدامُ اللباسِ لبيان شُمولِ الجوعِ والخوفِ لكافَّة جوانب حياتهم، فكأنَّ الجوعَ والخوفَ أحاط بهم من كلِّ الأطراف كإحاطة اللباس بِلابِسِهِ، وأمّا استخدامُ الذوق فلبيان شدّةِ الجوع؛ لأَنّ الإنسان يذوق الطعام، وأمّا ذَوقُ الجوع فإنّما يُطلَق إذا بلغَ به الجوعُ والعطشُ والخوفُ مَبْلغًا يشعُر به من صميم ذاته.

قال المفسّرون: عذّبهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيَف والعظام، وأمّا الخوف الذي ذاقوه فهو أنّ النبي ﷺ كان يبعث إليهم السرايا فتُغِيرُ عليهم.

وخلاصة القول أنَّ الآياتِ بصدد تحذيرِ المشركين -من أهل مكّة- مِنْ مَغَبَّةِ تَماديهم في كفرهم، والله أعلم.

وقد قارن الدكتور النابلسي القرية الواردة في هذه الآيةَ بقُرى ومُدُنِ أيَّامِنا الحاضرة، -وكانت هذه المقالة قبل أن يحصل ما حصل في بلاد الشام والعراق ومصر واليمن وليبيا وغيرها، ولا حول ولا قوة إلا بالله-.

يقـول الدكتـور النابلـسي: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾، في هذه الآية كلمـة ﴿ءَامِنَةً﴾، ونعمة الأمـن لا تَعْدِلُها نعمـةٌ على الإطلاق، فحينـما تكـون آمنًا في سِرْبِـك، لا تتوقـع مصيبـةً، ولا قتلًا، ولا اغتيـالًا، ولا قلقًا، ولا افتقارًا، حينما تشـعُر أنَّك في نعمة فإن هذه النعمة سَتَسْـتَمِرُّ معك، هذه نعمـة لا تعدلها نعمة؛ لذلك اعتقِدوا -يقينًا- أن هذه النعمة من خصائص المؤمن وحدَه؛ أمّا أن الأمن مـن خصائص المؤمن وحده، فهنـاك دليل قطعي: ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ الأنعام/ ٨١-٨٢

حينما يقع الإنسان في الشرك يُقْذَف في قلبه الرعبُ والخوفُ، ومن علامـات الإيمان الشـعور بالأمـان، وحينما نسـمع في بلادٍ حولَنـا اضطربَ حَبْلُ الأمن فيها، وصار قتلُ الإنسـان لا يكلف إلا رصاصـةً، وأنَّ المشيَ في الطريق يُعدُّ خطرًا كبيرًا، عندها نعرف نعمـة الأمن في بلادنا؛ ولذلك قـال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾، حفـظ الله بلادَنـا وبـلاد المسـلمين جميعـاً؛ فحينـما أرى التفلُّتَ، والاختـلاطَ، والتَّسَـيُّبَ، والفِسـقَ، والفجـور، والله أخـافُ أن يصيبَنا ما أصاب غيرَنا. ولاحول ولا قوة إلا بالله.

هنـاك آية دقيقة جـدًّا: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ

﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ الجاثية/ ٢١. والله لو لم يكن في كتاب الله إلا هذه الآية لَكَفَتْ، شـابٌّ مستقيم، يغُضُّ بصرَه عن محارم الله، يؤدي الصلاة، بارٌّ بوالديه... هل تعتقد أن هذا الشاب يُعامَل كأيِّ شابٍّ؟ ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾؟ السجدة/ ١٨

الله يعجـب، معقـول؟! لا يسـتوون: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ القصص/ ٦١.

إن كنتم في نعمة الأمـن فحافظوا عليها، هذه نعمة لا نعرف قيمتهـا إلا إذا عشـنا في بلد اضطرب فيه حبـل الأمن، وهناك آية أخرى تدل على رعايـة الله ونعمه عند الإيمان والعمل ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ قريش / ٤.

نعمتان لا تقدَّران بثمن: أن تكون آمناً وشـبعان، والحمد لله رب العالمين.

ملاحظة لطيفة:

إن رميَ كثيرٍ من فُتات الطعام في سـلّة المُهمَلات أمرٌ محظورٌ، وكُفْـرانٌ بنعمـة الله، حتى إنّ كثـيرًا من الدول وصلـتْ بها حالةُ البَطَرِ إلى أنّها ترمي ما زاد من محاصيلها الزراعية في البحار؛ حفظًا لقيمتها السُّـوقِيَّة، فكلُّ ذلك كفران لنِعـم الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المثل الثاني والثلاثون

سورة الإسراء (مكية): وترتيبها السورة السابعة عشرة في المصحف الشريف

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾.

معاني الكلمات:

- مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ : أي: مقيَّدة به.
- وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ : لا تُنْفِقْ ما في يدِكَ كلَّه.
- مَلُومًا : من اللَّوْم، وهو الانتقاد، والتوبيخ، والمؤاخذة.
- مَّحْسُورًا : من الحَسْرة، أي: الغمِّ على ما فاته والندمِ عليه.
- يَبْسُطُ : يُوسِعُ.
- وَيَقْدِرُ : يُضيِّق الرزق امتحانًا وابتلاءً.

تفسيرُ الآيات:

تتضمَّن الآياتُ تمثيلًا لمَنْعِ الشُّحِّ (شدة البُخل)، ومنعِ

الإسراف (الإنفاق ببَذَخٍ)، كما تتضمَّن الأمرَ بالاقتصاد (الذي هو بين الإسراف والتقتير)، فشبَّه الشحيحَ بمَنْ تكون يدُه مغلولةً إلى عُنقه، لا يقدِر على الإعطاء والبذْل، فيكون تشبيهًا غايةً في المبالغة للنهي عن الشحِّ والتقتير (التضييق بالنفقة)، كما شبَّه إعطاءَ المسرِفِ لجميع ما عندَه بمَنْ بسطَ يدَه حتى لا يستقِرُّ فيها شيء، فلا يبقى له أو لأهله شيءٌ، وينتهي نادِمًا مُؤاخَذًا.

وقوله: ﴿ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾، أي: إنْ أنت أمسكتَ ولم تُنفِقْ ولم تُعْطِ سائليك كنتَ مُلامًا، وإن أنت أنفقت كلَّ شيء عندك فستُصابُ بالحسرة.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾، أي: إن الله يُوسِع على مَن يشاء من عباده امتحانًا لهم أيشكرون أم يكفرون؟ ويُضيِّق عمَّنْ يشاء ابتلاءً لهم أيصبرون أم يضجرون ويسخطون؟ وهو سبحانه يوسع ويضيق على عباده بحسب علمه وحكمته؛ إذ إنّ من عباده مَنْ لا يَصلُح له إلا السَّعَةُ، ومنهم من لا يصلُح له إلا الضيق.

والمفهوم من الآية الأمر بالاقتصاد في البذل والعطاء، وقد تضمَّنتْهُ آيةٌ أخرى، وهي: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ الفرقان/ ٦٧. والله أعلم...

المثل الثالث والثلاثون

سـورة الكهف (مكية): وترتيبها السـورة الثامنة عشرة في المصحف الشريف

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٦ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٣٨ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ٣٩ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ٤٠ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ٤١ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرٗا ٤٣ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ٤٤﴾.

معاني الكلمات:

- جَنَّتَيْنِ : بستانين.
- وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ : أي: جعلنا النخل منتشِرًا حول الجنتين.
- ءَاتَتْ أُكُلَهَا : أعطت ثمارها، والثمر ما يُؤكَل.
- وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا : لم تَنْقُص منه شيئًا، بل أتت به كاملًا وافيًا.
- وَأَعَزُّ نَفَرًا : أي:عشيرةً وأولادًا وخدَمًا.
- تَبِيدَ : تفنى وتذهب.
- وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً : أي: لا أظن أن يوم القيامة سيكون.
- خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا : أي: أفضل منها مرجِعًا في الآخرة.
- أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ : أأنكرتَ قدرة الله وهو الذي خلقك من تراب...؟ (والاستفهام هنا للتوبيخ).
- نُّطْفَةٍ : منيُّ الرجُل.
- سَوَّىٰكَ : صَيَّرَكَ رجُلًا.
- لَّٰكِنَّا۠ : لكنْ أنا.
- حُسْبَانًا : أصل الحُسبان هي السهام التي تُرمى، وهي هنا بمعنى (العذاب)، وفي الحديث أنّه صلّى الله عليه وسلّم قال -في الريح-: «اللهمّ لا تجعلها عذابًا ولا حسبانًا» (أخرجه الطبراني).
- صَعِيدًا: وجه الأرض.

- زَلَقًا: أي: لا نبات فيه (فينزلق الماء عليه).
- غَوْرًا: غائراً ذاهباً في الأرض.
- وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ: أهلكت أمواله ممتلكاته مع ثمار جنته.
- يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ: كناية عن الندم والتحسر.
- خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا: خالية ساقطة على دعائمها.
- فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ: جماعة وأعوان يساعدونه.
- ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ: النصرة لله تعالى وحده.
- خَيْرٌ ثَوَابًا: خير من يثيب الطائعين.
- وَخَيْرٌ عُقْبًا: خير عاقبه لأوليائه..

ملاحظة: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ من هم المطلوب ضرب المثل لهم؟

اختُلف في تحديد الذين ضُرِب لهم المثل، والظاهر أن المراد المؤمنون، والكافرون المستكبرون عن مجالسة المؤمنين، هؤلاء الكافرون اقترحوا على الرسول ﷺ أن يطرد الفقراء المؤمنين مِن حوله حتى يجلسوا هم إليه ويسمعوا منه.

كما اختُلِف في الرجلين اللذَين ضُرِب بهما المثل، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهما من بني إسرائيل، وهو الظاهر، والله أعلم...

تفسيرُ الآيات:

في الآيات تمثيلٌ للمؤمن، والكافر بالله المُنكِر للحياة الأخروية، فالأول منهما يعتمد على رحمة الله الواسعة، والثاني يركن إلى الدنيا ويطمئنّ بها؛ حيث إنه قد افتخرَ بعض الكافرين على فقراء المسلمين بأموالهم وأنصارهم، فضربَ الله سبحانه ذلك المَثل يبيّن فيه أنّه لا اعتبار بالغِنى المؤقَّت في الدنيا، وأنّه سوف يَذهب لا مَحالة، وأنَّ الذي تنبغي المفاخرة به هو تسليم الإنسان لربّه، وطاعتُه لمولاه الذي سيغنيه من فضله يوم الحساب.

ويقال في حقيقة المثل: إنّ رجُلين أخوَين مات أبوهما وتركَ مالًا وافرًا، فأخذَا حقَّهما من الإرث، أما المؤمنُ منهما فتقرَّب إلى الله بالإحسان والصدقة، وأما الآخر فتملَّك الجنّتين وأنفق عليهما، واتَّخذ خُدَّامًا لهما. فافتخرَ الأخ الغني على الفقير، وقال: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾، وقد تعلّقت مشيئتُه سبحانه بأن تُؤتي الجنّتان ثمرًا وفيرًا، وقد تخلَّلهما نهرغزير الماء يسقي الجنتين، وراح صاحب الجنّتين المثمِرتين يفتخر على صاحبه (أخيه) بكثرة المال والأولاد والخدم....

وكان كلّما دخل جنّته يقول: ما أظنّ أن تَفنى هذه الجنّة وهذه الثمار، وكذَّب بالساعة، وقال: ما أحسبُ القيامة آتية، ولو افتُرِض صحّة ما يقوله الموحِّدون من وجود القيامة فلئِن بُعثت يومذاك ليُؤْتِيَنِّي ربّي خيرًا من هذه الجنّة، بشهادة إعطائي الجنّة في هذه

الدنيا دونكم، وهذا دليل على غناي وجاهي وكرامتي عند ربكم.

هذا ما كان يتفوّه به وهو يمشي في جنّته مُستعلِيًا بالنعم، مُختالًا فخـورًا، وعند ذلـك يواجهه أخـوه بالحكمة والموعظة الحسـنة، ويقـول: كيف كفرتَ بالله سـبحانه مـع أنّك كنـتَ ترابًا فصيَّرك نطفة، ثمَّ رجُلًا سـويًّا؟ وإن افتخرتَ أنـت بالمال، فأنا أفتخر بأنّي عبـدٌ من عباد الله، لا أُشرك به أحدًا، أنـا وإن كنتُ أقلَّ منك مالًا وولـدًا، ولكن أرجو أن يجزيني ربّي في الآخـرة خيرًا من جنّتيك، ونتيجـة لكفـرك فقد يرسـل الله عذابًا أو ريحـاً عاصفة وصواعق ونـاراً من السـماء على جناتك فتصبـح أرضًا صلبـة لا ينبت فيها شيء، أو يجعـل ماءها غائـرًا ذاهبًا في باطـن الأَرض على وجه لا تستطيع أن تستحصله أو أن تستفيد منه أبدًا.

قالهـا أخوه وهو يحذّره من مغبّة تماديـه في كفره وغِيِّه، بعدها جاء العذاب وأحاط بثمار الجنتين وزرعهما، وفي ذلك الوقت أفاق الأخ الكافر من غفلته، فأخذ يُقلّب كفّيه تأسُّفًا وتحسُّرًا على ما أنفقَ من الأموال والجهد في عمارة جنّتيه، وأخذَ يندم على شِركه وتكبره وإنـكاره للبعـث، ويقول: يـا ليتني لم أكن مشركًا بـربّي، ولكن لم ينفعه ندمه حين لا ينفع الندم، ولم يكن هناك مَن يدفع عنه عذاب الله في الدنيا، وله في الآخرة حساب عسير. والله أعلم...

ملاحظات لطيفة:

١ - يجب ملاحظة أنه مع إيمان أحدهما وكفرِ الآخر وُصِف «بالصاحب»، وهذه ليست صحبة الإيمان، وإنما تعني المقارنة والاجتماع على أمرٍ ما، ولا يلزم أن يرضى عن دين صاحبه، فلا ينبغي أن ننهر من يصف المنحرفين بالإخوة؛ فربما أراد تأليف قلوبهم وأخفى ذلك، أو أنها أخوة نسب أو بلد أو ما هنالك.

٢ - إن مما يؤسَف له أن نرى كثيرًا ممَّن وسَّع الله عليهم يتطاولون على إخوانهم الفقراء، وقد يكون لبعض هؤلاء الفقراء مكانة عند الله يتمنى أولئك -الأغنياء- عُشْرَ معشارها ولو أنفقوا كل أموالهم في طلبها.

٣ - العطاء اختبار وابتلاء، وليس دليل إكرام وتفضيل كما قد يظن كثير من الجهال.

٤ - قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾، وهذا مأخوذ من الآية ٣٩ من سورة الكهف.

٥ - إن المسلم العاقل المقبِل على كتاب ربه وسنة نبيه تدبُّرًا وفهمًا يدرك أن كل ما هو فيه من نعيم -من صحة وعافية ومن سعة رزق وكثرة مال، بل حتى العلم والصلاح وغيره- إنما هو محض فضل من الله عزوجل، لا بفضله وعلمه هو، وقد مكَّنه

الله من الأسباب؛ وقد يكون إختباراً له لذا كانت عاقبة قارون وصحبه (الخسف) حين قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ القصص/ ٧٨ .

والله أعلم...

المثل الرابع والثلاثون

سورة الكهف (مكية):

﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾.

معاني الكلمات:

- هَشِيمًا: ما يتكسَّر من النبات اليابس.
- تَذْرُوهُ: تفرقه وتطيِّرُه.
- مُّقْتَدِرًا: كامل القدرة على أي شيء وفي أي وقت.

تفسيرُ الآية:

تحدّث المثلُ السابق في سورة الكهف (المثل الثالث والثلاثون) عن عدم دوام نِعَم الدنيا التي ربَّما يعتمد عليها الكافر، ولأجل التأكيد على ذلك المعنى أتى القرآن بتمثيل آخر يُجسِّم فيه حال الحياة الدنيوية (بما فيها من البشر والحيوانات والنباتات والجماد) وعدمَ ثباتها بتمثيل رائع يتضمّن نزولَ الماء من السماء على الأراضي

الخصبة المستعدّة لنموِّ البذور الكامنة فيها، فعندئذٍ تبدأ الحركة فيها بشـقِّ التراب وإنباتِ الزرع وانتفاعِه من الشمس، فتصير البذور نباتًا نافعًا، وربّما يتخيّل الإنسـانُ بقاءَها ودوامها، فإذا بالأعاصير والعواصف تهُبُّ عليها فتصيِّرُها أعشابًا يابسة، ثم تنثرها رمادًا في الهواء، فكأنهـا لم تكن موجودة قَطُّ، وهذا النوع من الحياة والموت يتكرّرعلى طول السـنة، ويشاهده الإنسان بأُمِّ عينِه، دون أن يعتبر به، فهذا ما صيغَ لأجله المثل.

يقول سـبحانه: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ على وجه يلتفُّ بعضُه ببعض، يَـرُوقُ الإنسـانَ منظرُه، فلا يزال على تلك الحـال إلى أن يصل إلى نهايتـه، وهذا ما يعـبِّر عنه القرآن بقولـه: ﴿ فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا ﴾، أي: مُفَتَّتًا يابسًـا متكسِّرًا تذروه الريـاح فتنقله من موضعه إلى مواضع أخـرى، فتَحَوُّلُ الدنيـا كتحوُّلِ هذا النبـات ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴾، فيطرَأ الزوال بسرعـة عليها، وهكذا الأموال والبنون، وإنّـما هي زينة للحياة الدنيا، فـإذا كان الأصل (الدنيا) زائلًا، فما ظنُّك بزينته؟

ولكـنَّ الخلـود للأعـمال الصالحة بما لهـا من نتائـج باهرة في الحياة الأخروية، قال سبحانه: ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدّٗا ﴾ مريـم/ ٧٦. وقـد ورد أن الباقيات الصالحات هنَّ: سـبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا

قـوة إلا بـالله العلي العظيم. ولكن المعنى يشـمل أيضًـا كلَّ عملٍ خالصٍ لوجه الله... والله أعلم.

ملحوظة لطيفة:

علَّل بعضُ الحكماء تشـبيهَ الحياة الدنيا بالماء بالتشابه بينهما في الأمور التالية:

١ – الماء لا يستقرُّ في موضع واحد، والحياة الدنيا كذلك.

٢ – الماء يتغير، والدنيا كذلك.

٣ – الماء لا يبقى (يتبخَّر أو يفور)، والدنيا كذلك.

٤ –الماء لا يقـدِر أحدٌ أن يدخلَه دون أنْ يبتلَّ، والدنيا لا يدخلها أحدٌ ويسلمُ من فِتَنِها وآفاتها.

٥ –الماء إذا كان بقدَرٍ كان نافعًا مُنْبِتًا، وإذا جاوز المقدار كان ضارًّا مُهلِكًا، وكذلك الدنيا، الكفاف فيها ينفع، وفُضولُها (كثرتُها) يضر. والله أعلم...

المثل الخامس والثلاثون

(عدَّ بعضُ المفسرين هذه الآيات من الأمثال)

سورة الحج: وترتيبها السورة الثانية والعشرون في المصحف الشريف

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾.

معاني الكلمات:

- يُعَظِّمْ: يوقِّر ويحترم.
- فَٱجْتَنِبُوا۟: ابتعدوا.
- ٱلرِّجْسَ : القذر.
- ٱلْأَوْثَٰنِ : الأصنام والتماثيل.
- قَوْلَ ٱلزُّورِ : الكذب، وأعظم الكذب ما كان على الله تعالى

وعلى الرسول ﷺ، ومنه الشرك وشهادة الزور.

- حُنَفَآءَ : مائلين عن الشرك إلى التوحيد، ومائلين عن كلِّ دينٍ إلى الإسلام.

- خَرَّ : سقط.

- فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ : أي: تأخذه بسرعة.

- تَهْوِى بِهِ : تُسْقِطُه وتقذفه (في الأرض الهاوية).

- ٱلرِّيحُ : الهواء المتحرك الشديد.

- سَحِيقٍ: بعيد عميق.

تفسيرُ الآيات:

أخبرنا الله تعالى أنه يجب علينا تعظيمُ حُرُماتِه بأدائها على أكمل وجه، مُتَّبِعِينَ الرسولَ ﷺ، وأباح الله لعباده أكل الأنعام، إلا ما استثناه (من الميتة وغيرها) فالواجب الابتعادُ عنها، ثم أمر تعالى بالابتعاد عن عبادة الأوثان؛ فإنها من القاذورات فلا تقربوها بالعبادة ولا بغيرها؛ لأن الرجس (فساد في العمل)، والزور (فساد في القول). وقوله تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ هو الكذب مطلقًا، وشهادة الزور. وأعظم الكذب ما كان على الله تعالى، كوصفه مُزاحًا، أو نِسْبة شيءٍ إليه، كالولد والشريك (حاشاه)، أو وصفِه بأيِّ نقص، وكذلك الكذب على رسول الله؛ لقوله ﷺ: «مَنْ كذب عليَّ متعمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأ مَقعدَهُ من النار» رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ بعبادة إلهٍ آخرَ، أو بنسبة الولد إليه، أو يتبع هواه بمعصية الخالق وترك العبادات التي هي لله تعالى ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾، فكأنه (وهنا المثل) وقع من مكان عالٍ؛ (حيث كان على فطرة التوحيد) فتخطفه الطيور بسرعة وتمزِّقه أشلاءَ كما تفعل الصقور والنسور والعُقبان بصغار الطيور، أو تهوي به الريح إلى مكان وادٍ سحيق فلا يُعْثَرُ عليه أبدًا، وبهذا فهو خاسر هالك لا محالة. والله أعلم.

يقول الدكتور راتب النابلسي في تفسير هذه الآيات:

﴿وَٱجۡتَنِبُواْ﴾ تعني أن تجعل بينك وبين المعصية هامش أمان، فالمعصية كتيار كهربائي عالي التوتر، له حَرَمٌ، لو دخلت حَرَمه لجذبك واحترقت. هذا الهامش إذا جعلته، وقاك الله من الوقوع في المعاصي، أما إذا ألغيت هذا الهامش ففي الأعمِّ الأغلب تَزِلُّ القدم، ويقع الإنسان في المعصية.

﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾، تصوَّر إنسانًا وقع من طائرة على ارتفاع أربعين ألف قدم، ما مصيره؟ أشلاء، موت محقق، طيور تأكله هذا المثل مثل الشرك.

لو قرأت القرآن كلَّه لوجدت معظم آياته تدور حول التوحيد؛ الدين هو التوحيد، الدين أن تتجه لله، الدين ألَّا تعبد

إلا الله، ألَّا تحـب إلا الله، ألَّا تخضـع إلا لمنهـج الله، ألَّا تصِـل إلا لله، ألَّا تقطـع إلا لله، هذا الدين، هذا التوحيد، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد. والحمد لله رب العالمين.

المثل السادس والثلاثون

سورة الحج (مدنية):

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾.

معاني الكلمات:

- وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ: لو اجتمعوا لخلقه لا يقدرون، فكيف إذا لم يجتمعوا؟ هم عند ذلك أشدُّ عجزًا.
- لَّا يَسْتَنقِذُوهُ: لا يستردُّونه؛ وذلك لعجزهم.
- ٱلطَّالِبُ: الذي يطلب الشيء، وهنا العابد أو الذباب أو الإله.
- وَٱلْمَطْلُوبُ: الذي يطلبه الطالب وهنا الأصنام أو الذباب أو المعبود.
- مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ: ماعَظَّمَ المشركون اللهَ تعالى حقَّ تعظيمه.

تفسيرُ الآيات:

كان العرب في العصر الجاهلي يعلمون أنّه لا خالق في الكون سوى الله سبحانه، وقد قال الله سبحانه عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الزخرف/ ٩.

ويُحتمل أن يكون المراد من الطالب هو الذباب الذي يطلب ما طُليت به الأصنام من الطيب، والمطلوب هي الأصنام التي تريد استنقاذ ما سُلِب منها. كما يحتمل أن يكون المراد من الطالب الآلهة؛ فإنّها تطلب الذباب فلا تقدر على استنقاذ ما سلبها، والمطلوب الذباب؛ حيث يُطلب للاستنقاذ منه.

والغاية من المثل بيانُ ضعف الآلهة؛ لتنزيلها منزلة الحشرات في الشعور والقدرة.

ثمّ إنّه سبحانه يبيِّن منشأ إعراض المشركين عن عبادة الله وانكبابِهم على عبادة الأصنام بقوله: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾، أي: ما نزّلوه المنزلةَ التي يستحقها، ولم يعاملوه بما يليق به؛ فلذلك أعرضوا عن عبادة الخالق وانصرفوا إلى عبادة المخلوق الذي لا ينفع ولا يضر، والله أعلم.

وقد قال الدكتور راتب النابلسي في هذا المقام:

الذبابة في علم الطيران تملك أعلى إمكانية في الكون على المناورة في الجو، لا توجد طائرة يمكنها أن تسير بسرعة ألف ميل،

فجأة تنعطف تسعين درجة، لا يوجد في الأرض طائرة يمكن أن تهبط على سقف من أسفله، أما الذبابة فتقف على السقف، وظهرها نحو الأسفل، ما الذي يحميها من السقوط؟

أحياناً يجهد الإنسان بقتل ذبابة ولا يستطيع، تملك طاقة مناورة عالية جداً، فالإنسان يجب أن يتأمل بخلق الله ما دق في خلقه الله وما عظم..

ولا نهاية لعظمة هذا الكون، سواء فيما هو كبير كالمجرَّات أو فيما هو صغير كالبعوضة؛ لذلك هذه الآية تشبه تعريفًا بالله وعظمته عز وجل من خلال خلقه.

والحمد لله رب العالمين

المثل السابع والثلاثون

سورة النور (مدنية): وترتيبها السورة الرابعة والعشرون في المصحف الشريف

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٣٥﴾.

معاني الكلمات:

- كَمِشْكَوٰةٍ: كُـوَّة (فتحة) غير نافـذة (مقفولـة)، وتُتَّخذ في جدار البيت كرف لوضع بعض الأثاث والزينة والمصباح وغيرها.
- مِصْبَاحٌ: الـسراج (الفانـوس)، ويتألّف من أُمـور ثلاثة: وعاء للزيت، وفتيل يشتعل بالزيت، وآلة التحكُّم بالفتيل.

ثمّ إنّ أفخر أنواع الزيوت هو المأخوذ من شجرة الزيتون المغروسة في مكان تشرق عليه الشمس من كلِّ الجوانب؛ حيث تنبت زيتونًا في غاية الجودة والصفاء والنقاء.

- كَوْكَبٌ: نجم في السماء يشِعُّ نورًا.
- دُرِّيٌّ: مُشْرِقٌ مضيء إضاءةَ الدرِّ الوهَّاج.

تفسير الآية:

المشبَّه به في هذه الآية مشكاةٌ فيها مصباح عليه زجاجة، وقود المصباح من زيت شجرة الزيتون المتعرَّضة للشمس، يكاد هذا الزيت يضيءُ ولو لم تمسَسْهُ نار؛ لأَنَّ الزيت إذا كان خالصًا صافيًا يُرى من بعيد كأنَّ له شعاعًا، فإذا مسّتْهُ النار ازدادَ ضوءًا.

وهناك عدة أقوال في هذا المثل:

القول الأول: المشبَّه هو هداية الله؛ إذ قد بلغت في الظهور والجلاء إلى أقصى الغايات، بحيث يمكن تشبيهها بالمشكاة التي تكون فيها زجاجة صافية، وفي الزجاجة مصباح يتَّقِد بزيت بلغَ النهاية في الصفاء. وعدم تشبيهها بضوء الشمس - مع أنّه أبلغ - لأنَّ المراد وصف الضوء الكامل وسط الظلمة؛ لأَنّ الغالب على أوهام الخلق وخيالاتهم إنّما هي الشبهات التي هي كالظلمات، وهداية الله تعالى فيما بينها كالضوء الكامل الذي يَظهر فيما بين الظلمات.

القول الثاني: المراد من النور: القرآن، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ المائدة/ ١٥.

القول الثالث: المراد هو الرسول؛ لأنّه المُرشد، ولأنّه تعالى

قال في وصفه: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ الأحزاب/ ٤٦.

وقوله سبحانه: ﴿يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يدلُّ على أنه سبحانه يختصُّ المؤمنين بهداية التوفيق، ويحرم غيرهم، ومن المعلوم من السياق أنّ المراد بقوله: ﴿مَن يَشَآءُ﴾ هم الذين يذكرهم الله سبحانه بقوله بعد هذه الآية: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ النور/ ٣٧.

وقال ابن عباس في هذا المثل: هذا مثل نور الله وهُداه في قلب المؤمن، كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبلَ أن تمسَّه النارُ، فإنْ مسَّتْهُ النار ازداد ضوءُه، وكذلك قلبُ المؤمن يكاد يعمل بالهدى (أي: يسلك الطريق المستقيم) قبل أن يأتيه العلم من ربه، فإذا جاء العلم زاده هدًى على هدًى، ونورًا على نور.

﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾، يُخبر الله عزوجل أنه يضرب الأمثال للناس كهذا المثل الذي ضربه للإيمان. والله أعلم.

وقال الدكتور راتب النابلسي:

بادئ ذي بدء: الله نَوَّر الكون بالشموس، ونَوَّر القلوب بأنواره؛ لذلك قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ الحديد/ ٢٨.

أهمُّ قضية في الإيمان أنك إذا أقبلتَ على الله قذف اللهُ في

قلبك نورًا، فترى الخير خيرًا، والشرَّ شرًّا، الإنسان قبل أن يعمل عملًا يسبِق هذا العملَ رؤية، هذه الرؤية إما أنها صحيحة؛ فيأتي عملُه صحيحًا، وإما أنها رؤية سيئةٌ، فيأتي عملُه سيئًا. الذي أقدم على السرقة – مثلًا – رأى أنَّ السرقةَ كسبٌ وَفِيرٌ بجُهدٍ قليل، أما المؤمن فيرى السرقةَ عدوانًا، والعدوان له عقاب، وهكذا.

المرء في النهاية إما أنْ يمتلك نورًا يكشف له الحقيقة، أو يكون في بُعْدٍ عن الله، يقترف شيئًا يتوهَّمُه صالحًا وهو خلافُ ذلك. هذا المعنى يتَّضِح جليًّا حينما تركب مركبة في ليلة مظلمة، والطريق متعرِّج، وعن يمينه وادٍ سحيق، والطريق فيه حُفَر، ومشكلات كثيرة، فرقٌ كبير بين الذي يملك مصباحًا وضَّاءً يرى كلَّ شيء فيتَّقي الحُفَر، ويبتعد عن المخاطر، وبين الذي يتحرك وليس معه مصباح، الحادث مع الثاني حَتْمِيٌّ، أيُّ إنسانٍ منقطعٍ عن الله قلبُه هو في ظلمة، يتحرك بشهوته، لا يرى عواقب الشهوات، من هؤلاء يخرج المجرمون، يخرج القَتَلَة...، ماذا رأوا حينما أقدموا على جرائمهم؟ رأوا هذا خيرًا لهم فأقبلوا عليه.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾، المشكاة الكوَّة في الحائط يوضع فيها المصباح، فصدر المؤمن كالمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دُرِّيٌّ، أي: نور الله الذي يقذفه في قلبك يصبح كوكبًا درِّيًّا، المؤمن مُبصِر، المؤمن يرى ما لا يراه الآخرون، يسمع ما لا يسمعون، المؤمن

مُلهَم، المؤمن مُسدَّد، المؤمن موفَّق.

﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾، عندنا فكر شرقي، وفكر غربي، وعندنا مبادئ علوية من الله، الآن العالم شرق وغرب، ومسلمون، المسلمون يستمدون مبادئهم وقيمهم من السماء، من منهج الله عز وجل، من منهج الواحد الديان.

أثمن عطاء تملكه أن يقذف الله في قلبك نورًا، هذا النور يسدد خطاك، تقف الموقف الكامل، الموقف العادل، الموقف المشرف، لا تستفزك الأحداث، لا يستثيرك الشيطان، لا تكون ضحية لجهل، ضحية لبعد عن الله عز وجل؛ لذلك اعتقد أن وراء كل خطأ جسيم رؤية خاطئة، سببها بُعْدٌ عن الله عز وجل، ووراء كل توفيق كبير رؤية صالحة صحيحة سببها القرب من الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

المثل الثامن والثلاثون

سورة النور (مدنية):

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩ ﴾.

معاني الكلمات:

- كَسَرَابٍ: ما يُرى في الفلاة من ضوء الشمس وقتَ الظهيرة يسرُب على وجه الأرض يسري كأنّه ماء ولا يمُتُّ إلى الحقيقة بِصِلَة.
- بِقِيعَةٍ: جمع قاع، وهو المنبسط المستوي من الأرض.
- ٱلظَّمۡـَٔانُ: العطشان.
- فَوَفَّىٰهُ: أدى له حقه.

تفسيرُ الآية:

ذكر الله سبحانه حال الكافرين، وهو أنَّ أعمالهم سببُ خسرانهم؛ فهي كسرابٍ بقاعٍ من الأرض المنبسِطة، يحسبه العطشان من بعيد ماءً، وما هو بماء، إنما سرابٌ خادعٌ، ولما وصل

إليه لم يجد شيئًا ووجد الحق تبارك وتعالى عنده فحاسبه على كل أعماله الخاسرة.

يُشبِّه سبحانه أعمال الكفار تارة بالسراب كما في هذه الآية وآيات أخرى، وتارة أُخرى بالظلمات، ولعلَّ المشبَّه في كلمة «أعمالهم» هو أعمالهم الحسنة الظاهرة، وفي الآيات الأخرى قبائح أعمالهم.

فالكافر يتصوّر أنّ ما يُقدّم من قرابين وأذكار سوف ينفعه عند موته وبعده، وسوف تقوم الآلهة بالشفاعة له، ولكن يتجلّى له خلاف ذلك، وأنّ الأمرَ أمرُ الله لا أمرُ غيرِه، فلا يجدون أثرًا من ألوهية آلهتهم، فعند ذلك يجدون جزاء أعمالهم، ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

وحاصل المثل: أنّ الطاعة والعبادة والقربات كلّها لله تبارك وتعالى، فمَن قدّمها إليه وقام بها لأجله فقد بذرَ بذرة في أرض خصبة سوف ينتفع بها عند لقائه سبحانه، وأمّا مَن عبدَ غيره وقدّم إليه القربات راجيًا الانتفاع به فهو كالظمآن الذي يتصوّر السراب ماءً فيجيئه لينتفع به، ولكنّه سرعان ما يرجع خائبًا.

بالنهاية لك عمل إجمالي، هذا العمل إما أنه في مرضاة الله أو في سخط الله، عملك الصالح أحد أكبر أسباب الإقبال على الله، والعمل السيئ أحد أكبر الأسباب في الابتعاد عن الله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ...﴾ (النور: ٣٩).

هناك أعمال لا تعد ولا تحصى يمكن أن تسمى في مقياس العصر مثلاً حضارياً وإنسانياً، أما في ميزان الآخرة فلا وزن لها (لأنها ليست لمرضاة الله ولا لوجهه عز وجل)، مثلاً العالم كله اعتنق ديناً جديداً هو دين كرة القدم أو دين التكنولوجيا وأدوات التواصل...، تعمق هل حلّ مشكلة الفقر والجهل؟ هل وحدت الأمة!!. أم ازداد القتل والحروب والكراهية؟

بطولات، وكؤووس، وجوائز، فالبطولة أن تقيس العمل بميزان الآخرة وعلى ذلك فالمؤمن مقاييسه في تقييم الأشياء متطابقة مع مقياس القرآن الكريم، من هذه المقاييس: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧١).

النجاح بعمل تجاري أو صناعي، يسمى نجاحاً، ولكنه نجاح في الدنيا، ولا يسمى فلاحاً، يجب الانتباه إلى أن النجاح في الآخرة يسمى فلاحاً: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

ونجاح الإنسان مع الله، وهو أصل كل نجاح، وإذا نجحت مع الله تنجح في بيتك وعملك وصحتك، قواعد الشرع تحدد لك طريقة الطعام والنوم والحركة في الحياة، فبذلك النجاح يتحقق (وكذلك الفلاح) لأن أساسه طاعة الله.

والحمد لله رب العالمين

المثل التاسع والثلاثون

سورة النور (مدنية):

﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ٤٠﴾.

معاني الكلمات:

- لُّجِّيّٖ: منسـوب إلى اللُّجَّة، وهي في اللغة البحر الواسع العميق، ولكنّه اسـتُخدم هنا في تردّد أمواجه؛ فإنّ البحر كلّما كان عميقًا وواسعًا ازدادت أمواجُه.

- يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ: يعلوه ويغطيه موج آخر.

- سَحَابٞ: الغيوم المُمْطرة.

تفسير الآية:

شـبّه الله سـبحانه الكافرين في هذه الآية ببحـرٍ لُجِّيّ (مظلم) ويعلـو ماءَه موجٌ فـوق موجٍ، ومن فوقه سـحابة سـوداء ممطرة، فراكب هذا البحر تغمره ظلمة دامسـة فلا يرى أمامه شـيئًا، حتى لو أخرجَ يده فإنّه لا يكاد يراها مع قربها منه.

ثمَّ إنَّ الآية تشير إلى ظُلُمات ثلاث:

الأولى: ظُلمة البحر المحجوب عن النور.

الثانية: ظُلمة الأمواج المتلاطمة.

الثالثة: السحاب الأسود الممطر.

فتراكُمُ هذه الظلمات يحجب كلَّ نور من الوصول، وهكذا الحال في الكافر؛ فمهما قدَّم من أعمال هي في نظره صالحةٌ، إلَّا أنَّه محجوبٌ بظلمات ثلاث يمكن بيانها بالتالي:

- ظلمة الاعتقاد، ظلمة القول، ظلمة العمل.

- أو ظلمة القلب، ظلمة البصر، ظلمة السمع.

- أو ظلمة الجهل، ظلمة الجهل بالجهل، ظلمة تصوُّر الجهل عِلمًا.

ويمكن أن تكون هذه الظلمات المتراكِمة إشارةً إلى أمر آخر، وهو إصرار الكافر - المتزايد - على كفره وأعماله القبيحة؛ ولذلك يصفه الله سبحانه بقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾. والله أعلم.

قال الدكتور راتب النابلسي في تفسير هذه الآية:

هناك حقائق في أعماق البحار كُشفت بعد اختراع الغواصات، لا أحد يعلم أن في البحر طبقة عليا وطبقة سفلى، البحر بحران: بحرٌ فوق وبحرٌ تحت، ولكلٍّ منهما موج، وقد تم اكتشاف ذلك

في الحرب العالمية الثانية؛ حيث كانت الغواصات تنزل إلى أعماق البحر وتطفئ المحركات فتمشي، لتنتقل من مكان إلى آخر من دون صوت محرك يكشف وجودها عن طريق السونار، وشعاع الشمس لا يصل أعمق من مئتي متر تقريبًا؛ لذلك فإن تفسير ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ أي: ظلمات هذا البحر العميق الآخر الذي لا علاقة له بالبحر العلوي، ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ﴾ هذه الظلمة الثانية، و ﴿مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ﴾ هذه الظلمة الثالثة وهي الليل، ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ ظلامٌ دامس شديد...

إن هذا الإعجاز العلمي هو شهادة الله لسيدنا محمد ﷺ أن هذا القرآن هو كلام الله عز وجل؛ لأن النبي المختار أرسل للناس أجمعين بخلاف الأنبياء والرسل الذين سبقوه، فهم أرسلوا لقومهم فقط، فشهد الله لهم بالرسالة عن طريق معجزات حسية في وقتها، فسيدنا عيسى عليه السلام أحيا الميت، وسيدنا موسى عليه السلام ضرب البحر بعصاه، وسيدنا إبراهيم عليه السلام وضِع في النار فلم يحترق، ولكن الأمر مع رسول الله سيدنا محمد ﷺ مختلف؛ لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين ولا أنبياء بعده، وقد بعثه الله للعالمين، فلا بد في القرآن الكريم الذي هو معجزة سيدنا محمد من أن يحتوي سبقاً علمياً للقوانين الكونية كما ذكر في هذه الآيات والعشرات من الآيات الأخريات، (والتي لا يمكن

إدارتها وفهمها بشكل صحيح إلا بعد زمن؛ بحيث تكتشف هذه الحقيقة في وقت أراده الله سبحانه وفي زمان غير زمان النبي ﷺ) ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ من لم يتق الله عز وجل لا يوجد استنارة له بنور الله، وإن الإنسان حينما ينقطع عن الله فهو في ظلام ومن ابتعد عن المصدر التصوري والفلسفي والقيمي للدين فهو في ظلام، وحاصل هذه الآيات مع إعجازها أنها تشبيه للظلمات التي يعيش بها الكافرون.

ولأن النبي الكريم شهادة الله له أنه نبيه ليست هي المعجزات الحسية في وقته فقط، ولكن هذه الآيات الكونية في القرآن الكريم، بأي علم من علوم الأرض، العلوم تطورت وتطورت حتى استقرت الآن بوضع متقدم جداً، تأتي آية في كتاب الله تشير إلى هذا الوضع الأخير المتقدم، معنى ذلك أن الله الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن، والله عز وجل يعلم ما سيكون، علم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

والحمد لله رب العالمين

المثل الأربعون

(عدَّ بعضُ المفسرين هذه الآيات من الأمثال)

سورة الفرقان (مكية): وترتيبها السورة الخامسة والعشرون في المصحف الشريف

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۚ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ٨ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ٩﴾.

معاني الكلمات:

- مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ: الاستفهام هنا للتعجب.
- ٱلۡأَسۡوَاقِ: المكان الذي يتقابل فيه المشترون والبائعون للسلَع المختلفة.
- أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ: أي: ملائكة من السماء .
- نَذِيرًا: الذي يعلم بوقوع المكروه وَيخوِّف الناس منه.
- جَنَّةٞ: بستان.

- مَّسْحُورًا : مخدوعًا مغلوبًا على عقله.
- فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا : زاغوا عن الطريق الحق، فلا يهتدون .

تفسير الآيات:

ما جاء في هذه الآيات هو بصدد نقل ما وصِفَ به النبي ﷺ على لسان الكفّار، حيث وصفوه بأنّه يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، فلا يصلح للرسالة، وهو مُدَّعٍ للنبوة.

ثمّ نقموا منه بأنّه لو سلّمنا أنّه رسول ولكنْ لماذا لا ينزل إليه مَلَك ليساعده ويشد أزره فيكون معه نذيرًا؟ ثمّ قالوا أيضًا: لماذا لم يُلقَ إليه كنز من السماء حتى يصرفه في حوائجه المادّيَّة؟ أو لماذا لا يكون له بستان يأكل منه؟ ثمّ في الختام وصفوه بأنّه مسحور.

وردَّ الله سبحانه عليهم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ الفرقان/ ٢٠.

أي إنَّ كل الرسل والأنبياء السابقين هم من البشر العاديين الذين يفهمون لغتهم وطبائعهم ويعيشونها، ويأكلون الطعام كما يأكل أقوامهم، ويشترون ويبتاعون السلع لقضاء حوائجهم كسائر البشر؛ وذلك لأنهم مرسلون.

ثم قال سبحانه -اعتراضًا وتنديدًا بوصفهم النبي ﷺ-:

﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾، أي: أُنظر كيف وصفوك تارة بأنّك تأكل وتمشي في الأسواق، وأُخرى بعدم اقترانك بمَلَك، وثالثة بالفقر، ورابعة بكونك مسحورًا أو شاعرًا، والحقيقة أن هؤلاء هم الضالُّون المُضِلُّون. والله أعلم...

المثل الواحد والأربعون

عدَّ بعض المفسرين هذه الآية من الأمثال (من حيث التشبيه بالأنعام).

سورة الفرقان (مكية):

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾.

معاني الكلمات:

- كَالْأَنْعَامِ: الدواب والبهائم التي يؤكَل لحمُها.
- أَضَلُّ سَبِيلًا أضل طريقًا.

تفسير الآية:

قول الله سبحانه في هذا المثل: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ أي يا أيها الرسول: إن أكثر هؤلاء المشركين يسمعون لا للاقتناع، ولا يقبلون ولا يتفكرون فيما تقول فيعقلوا ما يُطلَب منهم، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾، هم كالأنعام، بل هم أضل من الأنعام؛ لأن البهائم تعرف طريق مرعاها، وتستجيب لنداء راعيها، وهم على خلاف ذلك، فجهلوا ربهم الحق، ولم يستجيبوا لنداء رسوله إليهم. والله أعلم.

وقال الدكتور راتب النابلسي في تفسير هذا المثل:

خلق الله في هذا الكون جمادًا و نباتًا و حيوانًا و إنسانًا، الجماد يشغل حيِّزًا في الفراغ، له وزن، وله ثلاثة أبعاد، والنبات أيضًا يشغل حيِّزًا في الفراغ، وله وزن، وله ثلاثة أبعاد، لكنه ينمو، الحيوان كائن يشغل حيِّزًا في الفراغ، وله ثلاثة أبعاد، وينمو كالنبات، لكنه يتحرك، وأما الإنسان فإنه كائن يشغل حيِّزًا في الفراغ، وله وزن، وله ثلاثة أبعاد، وينمو كالنبات، ويتحرك كبقية المخلوقات، لكنه يفكِّر. أودع الله تعالى في الإنسان قوة إدراكيَّة، بهذه القوة الإدراكية يتميز عن بقية المخلوقات، هذه القوة الإدراكية حاجتها العلم، فأيُّ إنسان لم يطلب العلم بل انشغل بطعامه وشرابه ومُتعته هبط عن مستوى إنسانيته إلى مستوى لا يليق به؛ لأنه لم يعرف سرَّ وجوده وغاية وجوده، لماذا هو في الدنيا؟ مَن الذي خلقه؟ لماذا خلقه؟ ماذا بعد الموت؟ هل الحياة هي الدنيا ولا حياة بعدها؟ أم أن هناك حياة أخرى إلى الأبد؟ هذه الأسئلة الكبيرة إن لم يهتم بها فهو خاسر.

علة وجودك الوحيدة في الدنيا أن «تعبد الله»، فمثلًا: طالب دخل مدرسة، قد يختار مقعدًا مريحًا، أو جانب النافذة، أو إلى الجهة التي فيها شمس، وقد يأتي بشطيرة معه ليأكلها، أما أن ينسى أنه جاء إلى المدرسة من أجل أن يدرس فهذا أحمق، يمكن أن يكون معك شطيرة تأكلها، يمكن أن يكون معك كتاب ودفتر، يمكن أن

تختار مطعمًا مريحًا بالمدرسة، هذا كله ممكن، لكن أن تنسى الدراسة كلها؟ معنى ذلك أنك تنكرت لعلة وجودك في هذه المدرسة.

أحيانًا يُكْتَبُ خبر لا يزيد عن عشر كلمات: (هناك مشروع لتخفيض الرسوم الجمركية على السيارات إلى خمسين بالمئة)، اليوم التالي كل سيارة ينزل سعرها مئتي ألف، خمس كلمات في الجريدة أحدثت اضطرابًا في الأسعار، معنى ذلك أن هذا الإنسان صدق ما في الجريدة! فكيف بإنسان لا يصدق ما في القرآن الكريم؟!

حينما تفعل فعلًا يتناقض مع وحي الله أنت ما صدقت كلام الله، أنت حينما تطيع إنسانًا وتعصي خالقًا، أنت حينما تؤذي الناس من أجل الربح، أنت حينما تكون مدرسًا وتعطي أسئلة من أصعب ما يكون حتى يأخذ معظم الطلاب الصفر؛ من أجل درس خصوصي، أنت حينما تقنع الموكِّل أن الدعوى ناجحة وتعلم علم اليقين أنها لا يمكن أن تنجح، وتبتز أمواله لسنوات طويلة... بأيِّ حرفة، بأيِّ مهنة، بأيِّ مورد رزق، إذا كان هناك غش، أو كذب، صَدِّقْ -ولا أبالغ- أن من فعل ذلك لم يُصدِّقَ كلامُ الله. الإسلام مع مُضِيِّ الأيام يصبح طقوسًا وليس عبادات، يصبح تقاليد، يصبح عادات، يصبح (فلكلورًا)، الإسلام منهج؛ لذلك فالشخصية المؤمنة شخصية فذَّة، فيها مرتبة علمية، مرتبة أخلاقية، ومرتبة جمالية.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾. إما أن

تفكـر، أن تتأمـل، أن تُعمـل عقلـك في هـذا الكون، فتكتشـف الحقائق، أو أن تسـتمع إلى علم جاهز، إن استمعت إلى علم جاهز كنت من فئة (يسمعون)، وإن أعملت عقلك في هذا الكون كنت من فئة (يعقلون).

أما الأنعـام فلها حجم، وثلاثة أبعاد، ووزن، وتشـغل حيزًا في الفـراغ، وتنمـو، وتتحرك، لكـن لا تفكر، الإنسـان أودع الله فيه قوة إدراكية، فإن لم يسـتخدم هـذه القوة صار كالأنعام بل هو أضل؛ لأن هذا الإنسـان مكلَّف، فإن لم يلبِّ تكليفه شـقي إلى أبد الآبدين، أما الأنعام فليسـت مكلفة. ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾؛ عطَّلوا القوة الإدراكية، ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ سيحاسـبون، أما الأنعام فلا تحاسب.

والحمد لله رب العالمين

المثل الثاني والأربعون

سورة العنكبوت (مكية): وترتيبها السورة التاسعة والعشرون في المصحف الشريف

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

معاني الكلمات:

- أَوْلِيَآءَ : من الولي، وهو الذي يُرْجى منه العون، وفي هذا المقام معناه: الأصنام التي يرجو الكافر منها نفعًا.
- أَوْهَنَ : الضعف.
- وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ: لا يفهمها ويسترشد بها إلا العالمون بالله وآياته الكونية وأحكام شرعه.

تفسيرُ الآيات:

إن ما تتضمّنه الآية: تشبيه آلهة المشركين ومعبوداتهم المزيَّفة

بأوهن البيوت، وهو بيت العنكبوت.

ثـمّ إنّ الغرض من تشـبيه الآلهة المزيَّفة بحـشرات الأرض ـ كالبعوض، والذباب، والعنكبوت ـ هو الحطُّ من شأنها والاستهزاء بها.

إنّ العنكبـوت حـشرة معروفة تتغـذّى من الحـشرات التي تصطادها بالشبكة التي تمدُّها.

ومع ذلك فما نَسَجته بيتًا لنفسها هو من أوهن البيوت، بل لا يليق أن يطلق عليه اسـم (البيت)، الذي يتألّف من: حائط ثابت، وسـقف مُظِلٍّ، وباب ونوافذ، وبيتُها يفقد أبسـط تلك المقوِّمات، هـذا من جانـب، ومن جانب آخر فإنّ بيتهـا يفتقد لأدنى مقاومة أمام الظواهر الجويّة والطبيعية، فلو هَبّ عليه نسـيم بسـيط لمزّق النسـيج، ولو سـقطت عليه قطرة من ماء لَتَلاشـى، ولو وقعَ على مقرُبة من نار لاحترق، ولو تراكمَ عليه الغبار لمُزِّق.

المشـبَّه هنا هـو حال الآلهة المزيّفة شُـبِّهت بهذا المثـل الرائع: العنكبـوت، وهـي لا تنفـع ولا تـضرّ، لا تَخلُق ولا تَـرزُق، ولا تَقدرعـلى اسـتجابة أيّ طلـب. بـل حال هـذه الآلهـة المزيّفة هي أسـوأ من بيت العنكبوت؛ لأنّ العنكبوت تنسج بيتها لتصطاد به الحـشرات، ولولاه لماتت جوعًا، ولكنّ الأصنام والأوثان لا تُوفِّر شـيئًا للكافر، وبذلك تقف عـلى عَظمة المثل الوارد في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾.

ثمّ إنّه سبحانه أردفَ المَثل بآية أُخرى فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا

﴿يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، أي: إنّه سبحانه يعلم ما يعبد هؤلاء الكفّار وما يتّخذونه من دونه أربابًا؛ لأنه هو العزيز الذي لا يغالَب فيما يريد، والحكيم في جميع أفعاله.

ثمّ قال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾، أي: نذكر تلك الأمثال، وما يفهمها إلَّا العلماء العاقلون (ليُفهِموها للعامة). والله أعلم...

قال الدكتور راتب النابلسي في تفسير هذه الآيات:

الحقيقة العلمية أن خيط العنكبوت أمتن من الفولاذ بخمسة أضعاف؛ ذلك أن الأشياء إذا قاومت قوى الشد كانت متينة؛ ولذلك فالمصاعد تتحرك بأسلاك الفولاذ المضفور، (التلي فريك) ينتقل عبر الفولاذ، عندنا مقاومة قوى الشد، مقاومة قوى الضغط، أمتن عنصر هو الفولاذ المضفور، ولكن العلماء قالوا في هذه الآية ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾: هذا ضعف اجتماعي.

علاقة العنكبوت الذكر بالأنثى علاقة سيئة جدًّا، علاقة الأنثى (التي تنسج بيت العنكبوت) بأولادها سيئة جدًّا، تأكل أولادها، وقد تعتدي الأنثى على الذكر، ولا يوجد أية علاقة طيبة ضمن هذه الأسرة؛ إذن هذا البيت ضعيف.

حكمة الله في أن يكون الإنسان ضعيفًا، قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾ النساء/ ٢٨، ينهار لأيِّ خبر سيِّئ، يضعف أمام الأمراض، أمام الفقر، أمام الأقوياء... وفي أصل خلقه نقطة

ضعف أرادها الله عزوجل لحكمة بالغة بالغة! لماذا؟ ليفتقر بضعفه إلى الله، فإذا افتقر إلى الله سعد بافتقاره، ولو خلقه قويًّا لاستغنى بقوته عن الله فشقي باستغنائه...

والله ما أرادنا أن نكون ضعفاء إلا لنأخذ بأسباب القوة، ومن ثم لنفتقر إليه بهذا الضعف ليقوينا...

الصحابة الكرام كانوا قِمَمَ ونُخْبةَ البشر، في (بدر) افتقروا إلى الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ آل عمران/ ١٢٣. وفي (حنين) -وكان معهم سيد الخلق وحبيب الحق- حين اعْتَدُّوا بعَددهم وقوتهم ذكر سبحانه ذلك: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾ التوبة/ ٢٥. أي: أنت -أيها الإنسان- حينما تقول: الله، يتولاك، وحين تقول: أنا، يتخلى الله عنك، أنت بين التولِّي والتخلِّي. قال قوم بلقيس: ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ النمل/ ٣٣، فأهلكهم الله، وقال فرعون: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ الزخرف/ ٥١ ، فأهلكه الله، وقال قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ القصص/ ٧٨، فخسف الله به الأرض.

فمن اعتمد على غير الله من مال أو منزلة أو صحة... ضل وذل.

والحمد لله رب العالمين

المثل الثالث والأربعون

سورة الروم (مكية): وترتيبها السورة الثلاثون في المصحف الشريف

﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

معاني الكلمات:

- كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ: خاضعون وطائعون له في الحياة والبقاء والموت والبعث.
- ٱلْخَلْقَ: كل المخلوقات من إنس، وجانٍّ، أو حيوان، أو نبات، وجماد، والسماوات، والأرض، والملائكة، وجميع الكون.
- أَهْوَنُ: أيسر وأسهل.
- ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ: الوصف الأَتَمُّ والأكمل والأجمل والأحسن.

- مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم : العبيد والرقيق الذين تملكونهم ويقومون على خدمتكم.

ملاحظة: لا يوجد في هذا العصر ما يوصف بملك اليمين والخادمات اللواتي يساعدن الزوجة في البيت لا يعتبْرنَ من هذا التصنيف ولا حتى الأسرى.

- كَخِيفَتِكُمۡ: أي: تخوُّفِكم بعضِكم من بعض أيها الأحرار.

- نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ : نبينها بتَنوُّع الأسلوب وإيراد الحجج.

تفسيرُ الآيات:

إنّ هذه الآيات تتضمّن برهانًا على يوم الحساب، وتمثيلًا على بطلان الشرك في العبادة، أمّا البرهان فقوله سبحانه: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾، واللام في قوله: ﴿ وَلَهُۥ ﴾ للمِلكية، والمراد منه المِلكية التكوينية لكافة الخلق: ملائكة وإنسًا وجنًّا، وكذلك خضوعهم له، ومفاد الآية أنّ زِمام ما في الكون بيده وحده سبحانه، والكل مستسلمون لمشيئته سبحانه، دون فرق بين الصالحين والطالحين؛ وذلك لأنه سبحانه هو الخالق المدبرالذي يدبّر العالَم كيفما يشاء، والمربوب مُستسلم لله في أموره كلها...

ثمّ إنّه سبحانه رتَّب على ذلك مسألة إمكان المَعاد بقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ ﴾. إنّه

سبحانه قادر على الخلق من العدم، والقادر على ذلك قادرٌ على الإعادة، بل ذلك أهون عليه سبحانه.

ثمّ إنّ هذه الأولوية هي حسب تفكيرنا ورؤيتنا نحن فقط، إذْ كلُّ الأمور أمام مشيئته سواء... قال سبحانه: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، والمراد من المَثل الأعلى هو: الوصف الأَتمُّ والأكمل له سبحانه، فليس لأوصافه حدٌّ و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ الشورى/ ١١.

أما التنديد بالشرك في العبادة فمِنْ خلال المثل الآتي: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾، ألقى سبحانه المَثل بصورة الاستفهام الإنكاري، وحاصله: هل ترضون لأنفسكم أن يكون أيٌّ من خدامكم وعبيدكم (في ذلك الزمان) شركاءَ لكم في الأموال التي أنعم الله بها عليكم؟ والجواب: لا، قطعًا، أي: لا يكون ذلك أبدًا، فمثلاً لا يصير الخادم شريكًا لصاحب الأموال في ما يملك، فعندئذٍ يقال لهم: كيف تجوِّزون ذلك على الله، وأن يكون بعضُ عبيده كالملائكة والجنّ شركاءَ له، سواء في الخلق، أو في التدبير، أو في العبادة !!!

والحاصل: أنّ للعبد وضعًا لا يصحّ أن يكون في رتبة مولاه على نحو يشاركه في الأموال في الدنيا، وهكذا فكلُّ إنسان هو عبد مملوك لله تكوينًا، ولا يمكن أن يكون في درجة الخالق المدبِّر فيشاركه في الفعل، كأنْ يكون خالقًا أو مدبِّرًا والعياذ بالله، أو

يشـاركه في الصفة كأنْ يكـون معبودًا. فالشيء الـذي لا ترضونه لأنفسكم، كيف ترضونه لله سبحانه وهو ربّ العالمين؟!

وبهذا المثل الواضح الجَلِيِّ يبين الله البراهين الساطعة والحجج القاطعة لأهل الفِطَرِ القويمة والعقول السليمة... والله أعلم.

المثل الرابع والأربعون

(وقد عدَّ بعض العلماء هذه الآية من الأمثال)

سورة فاطر (مكية): وترتيبها السورة الخامسة والثلاثون في المصحف الشريف

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩ ﴾.

معاني الكلمات:

- فَتُثِيرُ سَحَابًا : أي: تحرِّك السحاب بشدة فيجتمع ويسير.
- فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ : أي: سيَّرناه إلى بلد لا نبات فيه.
- فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ : أي: أنبتنا فيه النبات والعشب والزرع.
- ٱلنُّشُورُ : البعث والحياة الأخروية.

تفسيرُ الآية:

ومعنى هـذه الآية أن الله سـبحانه وتعالى هو يرسـل الرياح لتحرك السحاب، فيجتمع ثم يُسيِّره إلى مكان لا نبات فيه، فيكثِّفه ويمطره، أي: ينزل منه الماء لإنبات الزرع وإطعام الحيوان وشرابه.

﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾، أي: كما أن الله تعالى ينزل من السماء ماءً فيحيي به الأرض بعد موتها كذلك يحيي الله الموتى. وقد قال بعض العلماء: إنه بعد فناء العالم في الدنيا تبدأ الحياة الآخرة، فيُنزِل الله تعالى من تحت العرش ماءً يُنبِت الإنسان من عظم يقال له: (عَجْبُ الذنَب)، فيتم خَلقُه من جديد، ثم يرسل الله تعالى الأرواح فتدخل كل روح في جسدها فلا تُخطئ روحٌ جسدَها، وهكذا كما تتم عملية إحياء الأرض بالنبات تتم عملية إحياء الأموات يوم القيامة ويساقون إلى المحشر للحساب. والله أعلم.

المثل الخامس والأربعون

سورة فاطر (مكية):

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾.

معاني الكلمات:

- يَسْتَوِي: يتعادل أو يتكافأ.
- ٱلْبَحْرَانِ: ومعناه هنا البحر والنهر الذي يصب فيه، فالعرب تطلق لفظ (البحر) على النهر الكبير.
- فُرَاتٌ: الماء العذب، وهنا بمعنى النهر الجاري من نبع (غير متلوث).
- سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ: أي: يُشْرب بسهولة دون غصة، وبمذاق طيب.
- أُجَاجٌ: هو شديد الملوحة أو الحرارة، (مِن قولهم: أجيج النار).
- لَحْمًا طَرِيًّا: السمك.
- حِلْيَةً: اللؤلؤ والمرجان.

- ٱلْفُلْكَ: السفن.

- مَوَاخِرَ: من (مَخَرَ) بمعنى شقَّ، أي السفن تشق البحار.

تفسيرُ الآية:

هناك تفسيران لهذه الآية:

التفسير الأول: لا يستوي البحران (البحر المالح والنهر العذب)، على الرغم من أنَّ كلًّا منهما:

١ – تصطادون منه سمكًا طريًّا للأكل.

٢ –تستخرجون منه لؤلؤًا ومرجانًا تلبسونها للزينة والتجميل.

٣ – تسير فيه السفن للتجارة.

إلا أنَّ البحر الفرات ماؤه عذبٌ في شرابه، ويُذهبُ الظمأ، والبحر الآخر شديد الملوحة لا تقدر على شربه... وبالتالي فهل يستوي الحق والباطل؟ وهل تستوي عبادة الأصنام مع عبادة الرحمن؟ والجواب قطعًا: لا...

﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾، أي: وترى أيُّها السامع لهذا الخطاب أن السفن في البحر تَمْخُرُ عُبابَهُ وتَشُقُّ ماءَه غادِيةً رائحةً تحمل الرجال والأموال، وسخَّرها وسخَّر البحرَ ﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: الرزق بالتجارة، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: رجاءَ أنْ تشكروا. ولمْ يقلْ: (لتشكروا) كما قال: (لتبتغوا)؛ لأن الابتغاء حاصل مِن كلِّ راكبٍ، وأما الشكرُ فليس كذلك، بل من الناس

مَنْ يَشكُر ومنهم مَن لا يشكر؛ ولذا جاء بأداة الرجاء (لعل).

وفي هذا كلِّه برهانٌ على قدرة الله وعظمته ووحدانيته.

التفسير الثاني: ضَرْبُ المثل في حقّ الكفر والإيمان، أو الكافر والمؤمن.

وحاصل المثل: أنّ الإيمان والكفر والحق والباطل مُتمايزان لا يختلط أحدهما بالآخر، كما أنّ الماء العذب الفرات يختلف عن الملح الأُجاج، كما لا يتساويان في الحسن والنفع، قال سبحانه: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾، بل إنّ الكافر أسوأ حالًا من البحر الأُجاج الذي يشارك البحر الفرات (النهر العذب) في أمرين:

أ: يُستخرج من كلٍّ منهما لحمٌ طريٌّ يأكله الإنسان.

ب: يُستخرج من كلٍّ منهما اللآلئُ التي تخرج من البحر بالغوص وتتزيّنون بها.

إلى هنا تمَّ المثل، ثمّ إنّه سبحانه شرعَ في بيان نِعمه التي نزلت لأجلها سورة فاطر، وفيها قال: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. والله أعلم.

المثل السادس والأربعون

سورة فاطر (مكية):

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾.

معاني الكلمات:

- ٱلظِّلُّ: المكان الذي يُستَظَلُّ به من أشعة الشمس الحارقة أو البرد الشديد.
- ٱلْحَرُورُ: شدّة حرِّ الشمس، وقيل: هو السَّموم (الريح التي تحمل السموم)، وقال الراغب: الريح الحارّة.

تفسيرُ الآيات:

إنَّ دعوةَ الرسول ﷺ لا ينتفع بها إلا المؤمن، وأما الكافر المكذِّب الجاحد فلا ينتفع بها، فضرب الله مثلًا للكافر والمؤمن بالأعمى والبصير، وكذلك الظلمات والنور، والظل والحرور، فبرودة الجو لا تستوي مع حرارته، وكذلك الجنة لا تستوي مع النار، ولا يستوي الأحياء والأموات.

هـذا المثل للكافـر والمؤمن، أمّـا الكافر الجحـود المعاند فقد شُبِّهه بالصفات التالية:

١. الأعمى ٢. الظلمات ٣. الحرور ٤. الأموات.

كما شبّه المؤمن بأضدادها التالية:

١. البصير ٢. النور ٣. الظل ٤. الأحياء.

وما ذلـك إلَّا لأَنّ الكافر المعاند لأجـل إصراره وعدم إيمانه بالله سـبحانه وصفاتِه وأفعالِه، فهو أعمـى البصيرة؛ حيث أمات الكفرُ قلبَه، فتغمره ظلمةٌ دامسـة لا يرى ما وراء الدنيا شيئًا. قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ التوبة/ ٤٩. وظاهر الآية: أنّ النار محيطة بهم في هذه الدنيا وإن لم يشـعروا بها، كما أنَّ قلبَه ميّتٌ لا يسمع نداء الأنبياء والرسل وإن كان حيًّا يمشي، وهـذا بخلاف المؤمن؛ فإنَّه يُبْصِر بنور الله، فيغمره نورٌ زاهِرٌ، يرى دوام الحيـاة إلى ما بعد الموت، فهو في ظلٍّ ظليل، فهو يسـمع نداء الأنبياء والرسل ويؤمن به.

وقيل في النصف الثاني من الآية الثانية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾، إن الله سـبحانه يُسمِعُ الحقَّ مَن أراد سـماعَ قبولٍ واستجابةٍ وعملٍ، ولا تستطيع -أيها الرسول- إسماعَ الأموات في المقابر، فكذلك لَن تسـتطيع إسـماعَ الكفارِ المعاندين الحقَّ الـذي بُعثت به؛ لأن قلوبَهم ميتة، وبصائرَهم مطموسـة... والله أعلم.

المثل السابع والأربعون

سورة يس (مكية): وترتيبها السورة السادسة والثلاثون في المصحف الشريف

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾
إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم
مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ
إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا
عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ
لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن
ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ
يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ
أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ
﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي
شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾
إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ
قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞

وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

معاني الكلمات:

- أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ : يقال إنها إنطاكية بأرض الروم (والله أعلم).
- ٱلۡمُرۡسَلُونَ : رُسُلُ سيدنا عيسى عليه السلام.
- فَعَزَّزۡنَا : النُّصرة مع التعظيم.
- ٱلۡبَلَٰغُ : التبليغ الظاهر.
- ٱلۡمُبِينُ : الظاهر البَيِّن.
- تَطَيَّرۡنَا : تشاءمنا. وبذلك يظهر معنى قوله: ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ ﴾، أي: إنّ الذي ينبغي أن تتشاءموا به هو معكم، أي: حالة إعراضكم عن الحقّ (الذي هو التوحيد)، وإقبالكم على الباطل.
- لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ : الرمْي بالحجارة.
- وَلَيَمَسَّنَّكُم : يصيبكم.
- أَئِن ذُكِّرۡتُم : أي: وُعِظْتُمْ وخُوِّفْتُم.
- مُّسۡرِفُونَ : متجاوزون للحد.

- مِنْ أَقْصَا : من الطرف الآخر.

- يَسْعَىٰ : أتى مُسرعًا.

- ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا : اتبعوا مَن لا يطالبكم أجرًا على إبلاغ دعوة الحق.

- فَطَرَنِى : خلقني.

- بِضُرٍّ : بالمرض.

- شَفَـٰعَتُهُمْ : التوسُّط للغير لِجَلْبِ منفعة.

- جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ : أي: الملائكة لإهلاكهم.

- صَيْحَةً: صيحة سيدنا جبريل (بأمر الله).

- خَـٰمِدُونَ: ساكنون لا حراك لهم.

- يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ: أسفًا شديدًا عليهم.

تفسيرُ الآيات:

وهذا المثل هو تمثيل إخباريٌّ، أي: اضرب لهم -يامحمدﷺ- مثلًا للتشبيه، والمعنى: واجعل أصحاب القرية والمرسلين إليهم كأهلِ مكة وإرسالِك إليهم. واشرح حال قوم بعثَ الله إليهم الرسل، فكذّبوهم وجادلوهم بأمور واهية، ثمّ أقبلَ إليهم رجلٌ من أقصى المدينة يدعوهم إلى متابعة الرسل لأنّ رسالتهم رسالةُ حقٍّ، ولكنّ القوم لم يُمْهِلوه حتى قتلوه، وفي هذه الساعة عمّت

الكاذبين الصيحةُ فأهلكتْهم عامّةً، فإذا هم خامدون (جامدون في أماكنهم).

إنّ في الآيات نقاطًا جديرة بالمطالعة:

الأولى: يذكر المفسّرون أنّ الرسولَين لم يكونا مبعوثَين من الله مباشرة، وإنّما بُعِثا من قِبل المسيح (عليه السلام)، وكذلك الرسول الثالث، ولمّا كان بَعثُ المسيح بأمرٍ من الله سبحانه، نَسبَ فِعْلَ المسيح إليه سبحانه وقال: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾.

الثانية: أنّ القوم قاموا بالجدال والعناد، فقالوا: ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾، والجملة تحتمل وجهين:

الوجه الأول: أنتم أيّها الرسل بشر، والبشر لا يكون رسولًا من الله، وعلى هذا فالمانع من قَبول رسالاتهم هو أن أصحابَها بشرٌ.

الوجه الثاني: أنّ المانع من قَبول دعوة الرسالة هي: عدمُ توفُّرِ أيِّ مزيّة في الرسل ترجِّحُهم، ويُشعر بذلك قوله: ﴿مِّثْلُنَا﴾، أي: لم يكن الرسل مزوَّدين بشيء آخر كالمعجزات أو الوحي الإلهي مثلًا.

الثالثة: أنّ القصة تَنُمُّ عن أنّ منطق القوّة كان منطقَ أهل القرية، فالقوم لمّا عجزوا عن ردّ برهان الرسُل التجؤوا إلى منطق القوّة، وهددوا دعاةَ الحقِّ الصالحين بالقتل، وقالوا: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

الرابعة: أن على الرسول الدعوةَ، وعلى الله الهدايةَ. ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾، قال الرسُل لقومهم: الله ربُّنا الذي أرسلنا ويعلم أنَّا إليكم مرسلون، والواجب علينا تبليغُ الرسالة بالبيان التامِّ، وهذا عملنا، أما هدايتُكم فعلى الله سبحانه (إذا شاء)، وليست علينا.

الخامسة: أنّ التطيُّر (التشاؤم) كان سلاحَ أهلِ العناد والمكابرة، ولم يزَلْ هذا السلاحُ بِيَدِ العُتاةِ الجاحدين للحقّ، فيتطيّرون بالعباد ويهددونهم.

السادسة: يظهر من صدر الآيات أنّ الرسُلَ بُعثوا إلى (القرية)، وتُطلق هذه الكلمة -غالبًا- على المجتمعات الكبيرة والصغيرة، ولكن قوله: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ يُعرِبُ أنَّها كانت مدينةً ومُجتمعًا كبيرًا لا صغيرًا.

السابعة: أنّه سبحانه يصف الرجل الرابع الذي قام بدعم موقف الرسل بأنّه كان من أقصى المدينة (طرفها الآخر)، وما هذا إلَّا لأجل الإشارة إلى عدم الصِّلَةِ والتواطُؤِ بينه وبين الرسل؛ ولذلك قدّم لفظ (أقصى المدينة) على الفاعل.

الثامنة: أنّ قوله: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ دليلٌ على أنّ العبادة هي الخضوع النابع عن الاعتقاد بالخالق، كما أنّه يُعلّل حَصْرَ عبادته له وسَلْبَها عن غيره بعجزهم عن ردِّ ضُرِّ الرحمن

بعدم الجدوى في شفاعتهم.

التاسعة: إنّ القرائن تشهد بأنّ مَن قامَ بالدعوة إلى طريق الرسل من القوم قُتِل عند دعوته لهم، وجازاه الله سبحانه بأنه سيدخله الجنّة، والمراد من ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ ﴾: النعيم في عالَم البرزخ، لا جنّة الخُلْد؛ فهذه لا يدخلها الإنسان إلَّا بعد قيام الساعة.

العاشرة: كما أنّ في كلام الرجل المقتول بقوله: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴾ دليلًا على وجود الصِّلة بين الحياة البرزخية والمادّية؛ حيث أبلغَ بلاغًا إلى قومه، وتمنّى أن يقفوا على ما أنعمَ الله عليه بعد الموت، (وقد تكون كرامةً من الله له)؛ حيث قال: ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴾. والله أعلم.

وقال الشيخ أبو بكر الجزائري في تفسيره لهذه الآيات في «أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير»: إن هذه القرية هي أنطاكية، وكان أهلها من اليهود واليونان، وأن المرسلين إليها (الاثنان ثم الثالث) هم من قِبَل سيدنا عيسى عليه السلام يدعونهم إلى عبادة الرحمن وترك الأوثان، فقال لهم أهل أنطاكية: أنتم بشر مثلنا، ولم ينزل الربُّ من شيء عليكم، وما أنتم إلا كاذبون في دعواكم، فواجه الرسُلُ عنادَ القوم فيهم بما يدفع الشكَّ، وذلك بالقسم وتأكيد الخبر بأن الله يعلم بأننا مرسلون إليكم وماعلينا إلا أن

نبلغكم، فإذا قبلتم دعوتنا فذلك حظكم من الخير والنجاة، وإن أبيتم فذلك حظكم من الهلاك والخسارة... بعد فترة تشاجر أهل أنطاكية مع الرسل، وقالوا لهم: إننا تشاءمنا بكم؛ حيث انقطع المطر عنا بسببكم، فردَّ عليهم المرسلون بقولهم: شؤمكم في كفركم وتكذيبكم؛ ولذا حبس اللهُ عنكم المطر، ثم عززَ اللهُ موقفَ الرسل الثلاثة، وأعطاهم من المعجزات ما أبرؤوا به المرضى، وأصبح لهم أتباع مؤمنون؛ ولذلك غضب رؤساء البلاد وأرادوا أن يبطشوا بهؤلاء الرسل، وبلغ ذلك حبيبًا النجار (صاحب ياسين كما في الحديث)، والرجل كان مصابًا بالجذام سنين، وشفاه الله تعالى على يد سيدنا عيسى عليه السلام، وبذلك آمن وأسلم، وبقي في أرض أنطاكية يعبد الله تعالى، حتى بلغه أن أهل أنطاكية يهمُّون بالبطش بالرسل، فجاء مُسرعًا لينقذ دعوتهم ويدعو إلى الله تعالى بما أخبر به، وكان يسكن في طرف المدينة الأقصى، فجاء مسرعًا وسأل الرسل: هل طلبتم على إبلاغِكم دعوةَ عيسى أجرًا؟ قالوا: لا. فقال للقوم: اتبعوا الرسل تهتدوا بهدايتهم فينجيَكم الله... فقال له القوم: وأنت تعبد اللهَ مثلَهم ولا تعبد آلهتنا؟ هنا اغتنم حبيب النجار الفرصة ليدعو إلى ربه، فقال مستفهمًا: أأتخذ من دون الله أصنامًا وأوثانًا لا تسمع ولا تبصر؟! وهذه الأصنام لا تستطيع إنقاذي منه أو طلب الشفاعة لي من الله العزيز الرحيم، ورفع صوته مبلِّغًا الجميعَ: إني آمنت بخالقكم ورازقكم ومالك

أمركم دون هذه الأصنام والأوثان فاسمعوني جيدًا... وهنا وَثَبُوا عليه فقتلوه رفسًا بأرجلهم، وقبل أن يسلم الروحَ جاءته الملائكة عند الموت وبشرته بالجنة، حينئذٍ رأى نعيمها، وقال لقومه ناصحًا: يا ليتكم تعلمون بما غفره الله لي وجعلني من المكرمين مع الأنبياء والشهداء والصالحين في جنة الخلد، وأسلم الروح، هنا أمر الله سبحانه جبريل عليه السلام بأن يهلكهم بالصيحة، فأهلكتهم أجمعين، وبقوا جامدين في أماكنهم... وبذلك يكون حبيب النجار قد نصح قومه حيًّا وميتًا، وهذا شأن المسلم الحسن الإسلام والمؤمن الصادق الإيمان، ينصح ولا يغش، ويرشد ولا يضل، مهما قالوا له وفيه، ومهما عاملوه من شدة وقسوة حتى الموت. والله أعلم.

المثل الثامن والأربعون

سورة يس (مكية):

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾.

معاني الكلمات:

- خَصِيمٌ: شديد الخُصومة.
- مُّبِينٌ: واضحٌ وبيِّنٌ وظاهرٌ في نفي البعث.
- وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ: نسي أنه مخلوق من ماء مَهين، وأصبح رجلًا يخاصم ويجادل.
- رَمِيمٌ: بالية.
- خَلْقٍ: كل ما في الكون.

تفسيرُ الآيات:

روى المفسّرون أنّ أُبي بن خلف، أو العاص بن وائل جاء بعظم بالٍ متفتّت، وقال: يا محمد، أتزعم أنّ الله يبعث هذا، فقال

رسـول الله ﷺ: «نعم، يميتك، ثم يحييك، ثم يحشرك إلى جهنم»، فنزلت الآية ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾، أي: أيُنكر هذا الإنسـانُ البعـثَ وهو يعلم أنا خلقناه من نطفة، وسـوَّيناه إنسـانًا كاملًا، فإذا هو يخاصمنا خصومة شديدة، ويشرك بنا، وينكر إحياءنا للأموات وبَعْثَهم يوم القيامة؟! فضربَ هذا الكافر الجاحد ليوم القيامة والبعث والحساب بعد الموت مثلًا، وقال: كيف يُحيي الله هذه العظام البالية؟ وردَّ عليهم سـبحانه بأنْ ضربَ لهـم مَثلًا آخر وهو: أنّه يُحييها مَن أنشـأها ابتداءً، فمَن قدرَ على خَلقها يقدرُ على الإعادة، وهي أسـهل من الإنشاء والابتداء، وإطلاق لفظ (أسـهل) إنّما هو من منظار الإنسان، وأمّا الحقّ جلّ وعلا فكلُّ الأشياء عنده سواء. والله أعلم.

المثل التاسع والأربعون

سورة الزمر (مكية): وترتيبها السورة التاسعة والثلاثون في المصحف الشريف

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

معاني الكلمات:

- مِن كُلِّ مَثَلٍ: أي: ذكرْنا كلَّ مثَلٍ من الأمم السابقة.
- لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ: أي: يتَّعِظون فلا يشركون.
- غَيْرَ ذِي عِوَجٍ: لا لَبْسَ فيه ولا اختلاف.
- شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ، أي: متشاجرون متنازعون لشكاسة (سوء) خُلُقهم.
- سَلَمًا: أي: خالصًا وسالمًا لا يملكه إلَّا شخص واحد، ولا يخدم إلا إياه.

تفسيرُ الآيات:

هذه الآيات تمثّل حالة الكافر والمؤمن، فهناك مشبّه ومشبّه به.

أمّا المشبّه به الأول: فهو عبدٌ مملوك لِعدَّة أشخاص شركاء سيِّئي الخُلق، متنازعين فيه، فواحد يأمره وآخر ينهاه، وكلٌّ يريده أن يتفرّد بخدمته، وهو في قلق وحيرة من إرضاء كل واحد منهم، في مقابل عبد مملوك لرجل واحد وهو المشبّه به الثاني، يطيعه ويخدمه هو فقط، ولا يُشرك في خدمته شخصًا آخر. فهاذان المملوكان لا يستويان.

وأمّا المشبّه الأول: فحال الكافر هو حال المملوك الذي فيه شركاء عِدَّةٌ متشاكسون، فهو يعبد آلهة مختلفة، لكلٍّ أَمْرُهُ ونَهْيُهُ وخدمته، ولا يمكن الجمع بين الآراء والأهواء المختلفة لكل هؤلاء الشركاء، بخلاف العبد المملوك لرجل واحد، الساعي دائمًا لإرضاء سيده، والمشبه الثاني هو المؤمن؛ فإنّه يأتمر بأمر الخالق الواحد الأحد الحكيم القادر الكريم.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أي: لا يستوي الموحِّد والمشرك، ويتعيَّن علينا نحن المسلمون حمدُ الله تعالى على أنه ربٌّ واحد لا إله غيره ولا ربَّ سواه، وعلى أن مَنَّ علينا بالإسلام، على عكس المشركين الجاهلين ذوي العقول الفاسدة، والذين لا يدركون ولا يريدون أن يدركوا حقيقة هذا الأمر.. والله أعلم.

المثل الخمسون

(عدَّ بعض العلماء هذه الآيات من الأمثال)

سـورة الزخرف (مكيـة): وترتيبهـا السـورة الثالثـة والأربعون في المصحف الشريف

﴿وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ٦ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٧ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨﴾.

معاني الكلمات:

- نَّبِيٍّ: صاحب النُّبُوَّة المخبِرعن الله، وهو إنسـان يصطفيه الله من خلقه فإن أمره الله بتبليغ غيره فهو نبي رسول وإن لم يؤمر بذلك فهو نبي وليس برسـول (وعلى ذلك فإن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً).
- ٱلۡأَوَّلِينَ: الأمم الماضية.
- يَسۡتَهۡزِءُونَ: يسخرون ويستهينون.
- بَطۡشٗا: القوّة والمَنَعَة.

- وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ : أي: ذِكْرُ قصص وصفة وهلاك الأمم السابقة في الآيات القرآنية.

تفسيرُ الآيات:

يذكر سبحانه في هذه الآيات الأُممَ الماضية التي بعثَ الله سبحانه رسلَه إليهم ليبثُّوا لهم الحق، وليقيموا عليهم الحجة، فكفروا بأنبيائه، وسخروا منهم؛ لِفَرْطِ جهالتهم، فأهلكهم الله سبحانه بأنواع العذاب، مع ما لهم من القوّة والمَنَعَة، هذا حال المشبَّه به.

أما المشبّه: فهم مشركو عصر الرسالة، الذين كانوا يستهزئون بالنبي ﷺ، فيذكِّرهم سبحانه بما مضى في الأوَّلين، وأنّه سبحانه أهلكَ مَن هو أشدُّ قوّةً ومَنعة من قريش وأتباعهم، يقول سبحانه: ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴾، أي: في الأُمم الماضية ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾، فكانت هذه سيرة الأمم الماضية، ولكنّه سبحانه لم يصفح عنهم؛ فجازاهم على كفرهم وأهلكهم، ﴿ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾، أي: مضى في القرآن في غير موضع منه- ذِكرُ قصصهم وأحوالهم الغابرة العجيبة التي حقُّها أن تصير من الأمثال.

والمعنى: أيها الرسول - محمد ﷺ-: إنَّ كفّار مكّة سلكوا في الكفر والتكذيب مَسلكَ مَن كان قبلَهم من الأمم، فليحذروا أن ينزل بهم من الخِزي مثلُ ما نزل بالأُمم الغابرة كقوم عاد

وثمود وأصحاب مديـن... فقد ضربنا لهم مثَلَهم، كما قال تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ الفرقان/ ٣٩. وهذا المثل ينطبق أيضًا على أحوالنا الحالية؛ فعلينا الانتباه والعودة إلى الله سبحانه، ولا حول ولا قوة إلا بالله... والله أعلم.

المثل الواحد والخمسون

سورة الزخرف (مكية):

﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

معاني الكلمات:

- فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ: أي: استفزَّ فرعونُ قومَه وحرَّكهم وأطاعوه.

- فَأَطَاعُوهُ: الانصياع والاتِّباع .

- ءَاسَفُونَا: مأخوذ من أسِف أسفًا إذا اشتدّ غضبُه، وقال الراغب: الآسِف هو الحزِنُ والغضِبُ معًا.

- سَلَفًا: الأمم السابقة.

- وَمَثَلًا لِّلۡأٓخِرِينَ: عبرة لمن بعدهم.

تفسيرُ الآيات:

سياق هذه الآيات في قصة فرعون مع سيدنا موسى عليه السلام، فقد كشف الله العذابَ عن قوم موسى بعد أن دعا الله

لهم، وكان فرعون قد نكث العهدَ الذي أعطاه لموسى، وهو أنهم سيستجيبون له، فخاف فرعون أن يتبع قومُه موسى، فقام بمناورة رخيصة، فجمع قومَه، وقال لهم: ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٥١ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ٥٢ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ﴾ الزخرف/ ٥١-٥٣. فاستفزَّ بقوله هذا قومَه الفاسقين، والفاسق جبانٌ خوَّافٌ يستجيب بسرعة للباطل إن كان ممن يُخاف منه عادة كالحاكم الظالم.

ثم إنّه سبحانه يخبر عن انتقامه من فرعون وقومه، ويقول: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾، أي: أغضبونا، وذلك بالإفراط في المعاصي والتجاوز عن الحدِّ، فاستوجبوا العذابَ، كما قال سبحانه: ﴿ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾، ثمّ بيَّنَ كيفية الانتقام فقال: ﴿فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾، فما نجا منهم أحدٌ، ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ﴾، أي: جعلناهم عبرة وموعظة لِمن يأتي من بعدهم حتى يتّعظوا بهم.

فالمشبَّه به هو: فرعون وقومُه واستئصالُ الله تعالى لهم، (أي أزالهم وأهلكهم) والمشبَّه هو: مشركو أهل مكّة، فليأخذوا حال المتقدّمين (الأمم السابقة) نموذجًا لمصيرهم، ولينبههم من غفلتهم ويؤمنوا قبل فوات الأوان. والله أعلم.

ملحوظة لطيفة:

يجب أن نتَّعِظ في كلِّ وقت، وننتبه ونتحرى ونتحاشى طاعةَ طواغيتِ المادة والظالمين في هذا العصر؛ فالله قادر -في أيِّ وقت- أن ينتقم منَّا لو سمعناهم وعملنا بما يروِّجون له كما فعل سبحانه مع السابقين، ونسأل الله العافية والتقى والهدى وحسن الختام، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المثل الثاني والخمسون

سورة الزخرف (مكية):

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾﴾.

معاني الكلمات:

- يَصِدُّونَ : بمعنى الانصراف عن الشيء، ولكنَّ المراد منه في الآية: ضجّةٌ وصَخَبُ المُجادِل إذا أحسَّ الانتصار.
- مَاضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا : أي: ما جعلوا المثلَ لك إلا خصومةً بالباطل.
- خَصِمُونَ : شديدو الخصومة (والعداوة).
- يَخْلُفُونَ : أي: يخلفونكم فيها فيعمرونها ويعبدون الله تعالى.
- تَمْتَرُنَّ : من المِريَة، وهي التردّد في الأمر.

تفسير الآيات:

ذكرَ المفسّرون في سبب نزول الآيات أنّ رسول الله ﷺ لمّا قرأ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ الأنبياء/ ٩٨-١٠٠ امْتَعَضَتْ قريشٌ من ذلك امتعاضًا شديدًا، فقال عبد الله ابن الزَّبَعْرَى: يا محمد، أخاصَّةٌ لنا ولآلهتنا أم لجميع الأُمم؟ فقال: صلّى الله عليه وسلّم: «هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأُمم». فقال: خَصَمتُك وربِّ الكعبة، ألستَ تزعم أنّ عيسى بن مريم نبيٌّ وتُثني عليه خيرًا وعلى أُمِّه؟ وقد علمتَ أنَّ النصارى يعبدونهما، وعُزير يُعبَد من اليهود، والملائكة يُعبَدون، فإنْ كان هؤلاء في النار، فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم، ففرحوا وضحكوا، وارتفعت أصواتهم (سيرة ابن هشام).

وإلى فرحهم وضجّتهم يشير سبحانه بقوله: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾؛ حيث زعموا أنّهم وجدوا ذريعة للردّ على سيدنا محمد ﷺ وإبطالِ دعوته، فنزلت هذه الآيات إجابة عن جدلهم الواهي، وقالوا في مقام المجادلة: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾، يعنون: آلهتنا عندك يا محمد ليست بخيرٍ من عيسى (الذي ألَّهَهُ بعضُ النصارى)، فإذا كان عيسى من حَصَب النار كانت آلهتنا أهون.

ولذلك بَدأ سبحانه يشرح موقف السيد المسيح عليه السلام وعبادتـه وتقواه، وأنّه كان آيةً من آيات الله سـبحانه، وقال: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾، مثـلاً هنـا بمعنـى آيـة من آيات الله لبنـي إسرائيل، فولادتـه كانت معجزة، وكلامـه في المهد معجـزة ثانية، وإحياؤه الموتى معجـزةٌ ثالثة، ولم يكن يدعو قطُّ إلى عبادة نفسه، بل كان يدعو إلى وحدانية الله.

ثمّ إنّه سبحانه من أجل تحجيم شُبهة حاجته إلى عبادة الناس، يقـول: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ﴾، أي، يخلفونكم في الأرض ويطيعون الله ويعبدونه، فليس الإصرار على عبادتكم وتوحيدكم إلَّا طَلَبًا لسـعادتكم لا لتلبية حاجة الله، وإلَّا ففي وُسعه سبحانه أن يخلقكم ملائكة خاضعين لأمره.

ثمّ إنّه سبحانه يشير إلى خِصّيصة من خصائص السيد المسيح عليه السلام، وهي: أنّ نزوله من السماء في آخر الزمان آية اقتراب السـاعة. ليكذب من ادعى أنه إله، ويؤكد أنه عبد مرسل من عند الله سبحانه، والله أعلم.

المثل الثالث والخمسون

(اعتبر بعض المفسرين أن المثل في هذه الآيات بمعنى الوصف لا بمعنى المثل المصطلح عليه، ويعلم ذلك من خلال تفسير الآيات).

سورة محمد (مدنية): وترتيبها السورة السابعة والأربعون في المصحف الشريف

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ٣﴾.

معاني الكلمات:

- ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾: أي: التوحيد والعمل الصالح كما أمر الله سبحانه.
- ﴿بَالَهُمۡ﴾: أي: حالهم وخَبَرَهم.
- ﴿ٱلۡبَٰطِلَ﴾: لغوٌ وعبثٌ خالٍ من الفائدة، ويجيء بمعنى الفاسد، وهو عكس الحق.

تفسير الآيات:

إنّ هذه الآيات بشهادة الآية التي قبلها ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ محمد/ ١- تُبيّن حال كفّار قريش ومشركي مكّة الذين أشعلوا فتيل الحرب في بدر، ومنهم أبو جهل والحارث ابن هشام، الذين منعوا الآخرين من الاهتداء بهَدي الإسلام، فهؤلاء أضلّ أعمالهم، فصاروا كمَنْ ضلَّ طريقَه فشقي وهلك، أي: أحبطَ الله أعمالَهم الخَيِّرةَ (كإطعام الطعام ونحوه) وجعلها هباءً منثورًا، فلا ينتفعون من عطاياهم وكرمهم، ولا يُرى لها أثرٌ يوم القيامة، إشارة إلى غير واحد من صناديد قريش الذين نحروا الإبل في يوم بدر وقبله ليطعموا الناس ليثبُتوا على القتال ضد رسول الله ﷺ.

ويقابلهم المؤمنون، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾، جعلَ الإيمان بالقرآن الكريم وصالحَ أعمالِ المؤمنين كفّارةً لسيّئاتهم، وأصلحَ الله بالَهم وأحوالهم في الدنيا والآخرة، وشرح صدروهم للحق.

فشتَّانَ ما بين كافر صادٍّ عن سبيل الله يُحبَط عمله، ومؤمن بالله وبما نُزِّل على محمد ﷺ تُكفَّر سيئاتُه بصالح أعماله.

ثمّ إنّه سبحانه يُدلِّل على ذلك بأنّ الكافرين -على الرغم من بيان الحق لهم وسبيل الرشاد- لا يكترثون، ويَقْتَفُون أثر الباطل، ويتَّبعون الشيطان؛ ولذلك يُضلّ الله لهم أعمالهم (أي: يضيِّعها

لهم)، وأمّا المؤمنون فقد أطاعوا الرحمن وتبعوا الحقّ فينتفعون بأعمالهم في الدنيا والآخرة، وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾.

وفي ختام الآية الثانية قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾، أي: حالاتهم لإزالة الإشكال، وكذلك ليبيّن حال المؤمن وحال الكافر، ونتائجَ أعمالِهما، وعاقبتَهما؛ ليعتبر الناسُ فيسلكوا طريق التوحيد والنجاح، ويتجنَّبوا طريق الخسران؛ فضلًا من الله تعالى ونعمة. والله أعلم.

المثل الرابع والخمسون

سورة محمد (مدنية):

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾.

معاني الكلمات:

- مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ: أي: وَصْفُها وحالُها (في الآخرة).
- ءَاسِنٍ: يقال: أَسَنَ الماءُ، إذا تغيّر تغيُّرًا مُنْكرًا وصَعُبَ رِيحُهُ.
- حَمِيمًا: الماء المغلي الشديد الحرارة.
- فَقَطَّعَ: فصَل ومزَّق

تفسير الآية:

لـو أردنا أن نجعلَ هذه الآية من آيات المثل فلا بُدّ من تصوُّر مشبَّه، وهو: الجنّة الموعودة في الآخرة، ومشبَّه به، وهو: جنّة الدنيا بما لها من الخصوصيات.

ولكنّ الظاهر أنّ الآية صيغت لبيان حال الجنّة ووصفها وسماتها، وهي كالتالي:

١. فيها أنهار أربعة، وهي عبارة عن:

أ: ﴿أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾، أي: ماءٌ لا يتغيّر طعمُه ورائحتُه ولونه لطول البقاء.

ب: ﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ﴾، ولا يعتريها الفساد بمرور الزمان.

ج: ﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾، فتقييد الخمر بكونه لذّةً للشاربين احترازٌ عن خمر الدنيا؛ فلا صداع ولا سُكْر،

د: ﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗى﴾، خالصٍ من الشَّمْع.

وهذه الأنهار الأربعة لكلٍّ غايتُه وغرضُه: فالماء للارتواء، والثاني للتغذّي، والثالث لبعث النشاط والروح، والرابع لإيجاد القوّة في الإنسان.

٢. وفيها وراء ذلك من كلِّ الثمرات، كما قال سبحانه: ﴿وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، فالفواكه المتنوِّعة تحت مُتَناوَلِ أيديهم، لا عينٌ رأتْها، ولا أُذنٌ سمعت بها، ولا خَطرت على قلب بشر.

٣. وفيها وراء هذه النِّعم المادّية نعمةٌ معنويَّةٌ يشير إليها سبحانه بقوله: ﴿وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾.

وبذلك تبيّن لنا وصف الجنّة وحال المتقين فيها.

بقيَ الكلام في تبيين حال أهل الجحيم ومكانهم، فأشارَ إليه تعالى بقوله: ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ﴾، هذا وصف أهل الجحيم، وأمّا ما يُرزقون: فهو عبارة عن الماء الحميم (المغلي)، لا يشربونه باختيارهم، وإنّما يُسقَون؛ ولذلك يقول سبحانه: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾.

وعلى كلٍّ، فلو قلنا: إنَّ الآية تهدف إلى تشبيه جنّة الآخرة بجنّة الدنيا التي فيها كذا وكذا فهو من قبيل المَثَل، وإلَّا فالآية صيغت لبيان وصف جنّة الآخرة، وأنّ فيها أنهارًا وثمارًا ومغفرة، وهي جزاءٌ للمتقين خالدين فيها أبدًا. والتقوى هي السبب المُورِثُ للجنة، وهي: فِعْلُ المأموراتِ، وتَرْكُ المَنْهيَّات من سائر أنوع الشرك والمعاصي... والله أعلم.

ملحوظة لطيفة:

أكدت العلوم الطبية الحديثة أن الغشاء البيروتوني الموجود في الأمعاء يتمتع بنهايات عصبية حساسة جداً، ولا يمكن أن تشعر بالألم إلا في حالة انثقاب الأمعاء، وأما الإحساس بالألم في الأمعاء فغير موجود، لو أعطينا أمعاء الإنسان ماء يغلي لا يشعر بشيء، وسقوا ماءً حميماً، متى يؤلمهم؟ حينما يقطع أمعاءهم، قال تعالى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾. والله أعلم.

المثل الخامس والخمسون

سورة الفتح (مدنية): وترتيبها السورة الثامنة والأربعون في المصحف الشريف

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾﴾.

معاني الكلمات:

- لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ: أي: لِيُعْلِيَهُ على سائر الأديان.
- وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا: فالله شاهدٌ على أنك مرسَل منه لتبلِّغ بالهدى ودينِ الحق.
- وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ: أي: أصحاب الرسول ﷺ.
- فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ: ثوابًا من ربهم، وهو الجنة.

- وَرِضْوَانًا: رضاه سبحانه.
- سِيمَاهُمْ: العلامة، فقوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾، أي: علامة إيمانهم في وجوههم، أي: نورُ وجوهِهم.
- شَطْئَهُۥ: فروخ الزرع، وهو ما خرجَ منه، وتفرَّع في شاطئيه، أي: في جانبيه.
- فَـَٔازَرَهُۥ: القوة الشديدة، وآزَره: أعانه وقوّاه.
- فَٱسْتَغْلَظَ: ضِدّ الرِّقَّة، وهي القساوة أو العنف والشدة.
- سُوقِهِۦ: هو جمع ساق.
- لِيَغِيظَ: شعورٌ بالغضب الشديد والسخط والضيق.

تفسيرُ الآيات:

الكلام في هاتين الآيتين على النبي محمد ﷺ تارةً، وعلى أصحابه تارة أُخرى:

أمّا الأول فقوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾، والضمير في ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ يرجع إلى دين الحقّ (الإسلام) لا إلى الرسول؛ لأَنّ الغايةَ ظهورُ (إعلاءُ) دينٍ على دينٍ، لا ظهور شخص على الدين، والمراد من الظهور هنا: الغَلَبَة في مجال البرهنة والانتشار، وقد تحقّق بفضله سبحانه، وسوف تزداد رقعة انتشاره في أرجاء

المعمورة، ويكفيك اللهُ -أيها الرسول ومَن اتبعك- أن يكون شاهدًا على صِدقِ رسالتك، وأنه ناصِرُكَ ومُظْهِرُ دِينِك.

يقول سبحانه في هذا الصدد: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾، أي: الرسولُ (ﷺ) الذي سوف يَغلب دينُه على جميع الأديان، وأمّا صفات أصحابه فجاء ذكرهم في التوراة والإنجيل.

أمّا التوراة، فقد جاء فيها وصفُهم كالتالي:

١. ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾، أي: على الكفار الذين لا يفهمون إلَّا منطق القوّة؛ فلذلك يكونون أشدَّاءَ عليهم؛ اعتزازًا بدينهم، أقوياءَ بعقيدتهم، وهذه الشدة قد تكون سببًا في هداية الكفار؛ لأنهم يتألَّمون بهذه الشدة، ويرون خلافها بين المسلمين.

٢. ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾، فهُم رُحماءُ مُتَوادُّون، يعطِف بعضُهم على بعض، قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ المؤمنين في توادّهم وتعاطفهم وتراحمهم مَثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضوٌ تَدَاعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى». أخرجه البخاري ومسلم.

٣. ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾، هذا الوصف يُجسِّد ظاهرَ حالهم، وأنّهم منهمكون في العبادة التي هي آيةُ التسليم لله سبحانه. ومع ذلك لا يبتغون بعبادتهم أجرًا، وإنّما يأملون

فضلَ الله ورضاه سبحانه، يقول تعالى عنهم: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾.

ومن علائمهم الأخرى: أنَّ أَثَرَ السجود في جباههم، ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾، فسيماهم الخشيةُ والخشوعُ والصدقُ، وهذه الصفات مذكورة أيضًا في الإنجيل.

إنَّ أصحابَ محمد ﷺ لم يزالوا يزيدون باطِّرادٍ في العدد والعُدَّة والقوة، وبذلك يَغيظون الكفارَ، فهُمْ كزرعٍ قويٍّ قامَ على سيقانه يُعجِب الزارعين بجودته.

ولم يزالوا في حركة دائبة ونشيطة، فمِنْ جانبٍ يعبدون الله مخلِصين له الدين بلا رياء ولا سُمعة، ومن جانبٍ آخرَ يجاهدون في سبيل الله بُغيةَ نشْرِ الإسلام ورفْعِ راية التوحيد في أقطار العالم. فعَملُهم هذا يغيظ الكفار ويسرّ المؤمنين، قال سبحانه: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾، فالمجتمع الإسلامي -بإيمانه وعمله وجهاده وحركته الدَّؤوبةِ نحو التكامل- يثير إعجابَ الأصحاب الأخلاَّء، ويغيظ الأعداء الأَلِدَّاء.

ثم قال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾، كلمة ﴿مِنْهُم﴾ تُعرِب عن أنَّ المغفرة والأجر والثواب تختصُّ بالمخلصين الصالحين منهم، ثم مَنْ سارعلى منهجهم واقتفى أَثَرَهم إلى يوم الدين. والله أعلم.

ملاحظة لطيفة:

يجب الانتبـاه إلى أن الخلافات التي نشـهدها هذه الأيام بين العديد من المذاهب والفرق الإسلامية هي طارئ وإلى زوال بإذن الله وذلك وعد من الله، ويجب على كل المسـلمين العمل على ذلك كل في موقعه.

المثل السادس والخمسون

سورة الحجرات (مدنية): وترتيبها السورة التاسعة والأربعون في المصحف الشريف

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

معاني الكلمات:

- ٱجْتَنِبُواْ : ابتعدوا وتَحاشَوا.
- ٱلظَّنِّ: إدراك الذهن الشيء مع ترجيحه بدون قرينه (كالشك).
- تَجَسَّسُواْ: تتبعوا عوراتِ المسلمين وتبحثوا عنها.
- يَغْتَب: من الغيبة، وهي كما قال رسول الله ﷺ: «ذِكْرُكَ أخاك بما يَكْره».
- فَكَرِهْتُمُوهُ: أي: اشْمَأْزَزْتُم ونَفَرْتُم منه لَمَّا عُرِضَ عليكم.

تفسير الآية:

ينادي الله تعالى المسلمين بعنوان الإيمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ إِذْ

بالإيمان أصبحوا أحياءَ يسمعون ويبصرون ويقدرون على الفعل والترك؛ إِذْ إنَّ الإيمان بمثابة الروح، إذا حلَّت في الجسم تحرَّكَ فأبصرتِ العينُ، وسمعتِ الأذنُ، ونطق اللسانُ، وفهم القلبُ، وحسن العمل.

﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾، وهو كلُّ ظنٍّ ليس له ما يوجِبُهُ من القرائن والأحوال، ويُعلِّل سبحانه هذا النهي المقتضي للتحريم فيقول: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾، وذلك كظنِّ السوء بأهل الخير والصلاح في الأمة، فإنَّ ظنَّ السوء فيهم قد يترتب عليه قولٌ باطلٌ أو فعلُ سوءٍ أو تعطيلُ معروفٍ، فيكون إثمًا كبيرًا، وكذلك الظن بأخيك وأصحابك وأهلك.

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾، أي: لا تتبعوا سقطات الناس وعورات المسلمين ومعايشهم بالبحث عنها والاطلاع عليها. والظنُّ السيِّئ مبنيٌّ على الشك والاحتمال؛ لما في ذلك من الضرر الكبير.

وقوله: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾، أي: لا يَذْكُرْ أحدُكُم أخاه في غيبته بما يكره... وقوله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾؟؟ الجواب: لا، قطعًا، أي: فكَما عُرِضَ عليكم لحمُ أخيكم ميتًا فكرهتموه -فاكرهوا إذن أكلَ لحمِه حيًّا، ولحمه عِرْضُه، والعِرْضُ أعزُّ وأعْلى من الجسم... ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾، أي: لا تغتابوا؛ فإن الغيبة من عوامل الدمار والفساد بين المسلمين، ومَن فعل ذلك فعليه التوبةُ والاستغفارُ؛ لأن الله يقبل

توبة التائبين المستغفرين، وهو رحيم بالمؤمنين... عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذِكرُكَ أخاك بما يكره»، قيل: أفرأيت إن كان فيه ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهَتَّه» أي ادعيت عليه ظلماً وافتريت عليه بالكذب. (أخرجه الامام مسلم. والله أعلم

وقال الدكتور راتب النابلسي في هذا السياق:

في هذه الآية آدابُ التعامل بين المؤمنين، بهذه الآداب تَمْتُنُ العلاقاتُ بين المؤمنين، وبخلاف هذه الآداب تتفكك عُرى المحبة والمودة بين المؤمنين، فالمؤمنون إذا اجتمعوا كانوا أقوياء، وإذا تفرقوا أصبحوا ضعفاء، قوة المؤمنين في اجتماعِهم، واجتماعُهم هذه أسبابه، فالغيبة تُفَرِّق، النميمة تُفرِّق، البُهتان يفرِّق، الكذب يفرِّق، أيُّ مخالفةٍ في هذه الآيات من مُضاعفاتِها تفتيتُ العلاقة بين المؤمنين. المشكلة أننا إن لم نطبِّق هذه الآيات فسيحدث خلافٌ داخلَ الأُسْرة، وداخل العائلة، وداخل الشركة، وداخل القبيلة، وداخل البلد، خلافاتٌ داخلية تفتُّ في عضد المسلمين، خلافاتٌ داخلية تمزِّقهم، تُضعِفُهم، والخلافات من لوازم البعدِ عن الله عز وجل.

الآية الكريمة تقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾، الآية تقول: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ﴾، إذن في بعضه الآخر ليس إثمًا. كيف

نفـرِّق بين الظنِّ الذي هـو إثم وبين الظن الذي هو حق؟ إنسـان دخل إلى البيت فرأى سـماعة الهاتـف في يد زوجته وتتحدث، فلما رأته وضعت السـماعة فورًا، معنى هذا أن هناك مشكلة، هنا سوء الظن ليـس إثمًا، يجب أن تَتحقَّق منها بهدوء. لكن أحيانًا لا يكون هناك أيُّ دليل، سوء الظن الآن إثمٌ ومرض...

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾: التجسـس تَتَبُّـع الأخبـار السـيئة، لا تدخـل في تفاصيـل ليس لك فيها، هذا ليس مـن الأدب. وهناك رأيٌ آخر: (ولا تحسسوا)، قالوا: التحسُّس تَتَبُّعُ الأخبار الطيبة.

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ أقسـم لكـم بالله، الغيبـة وحدها تمزق الأمة، تمزق المجتمعات، تفتت الأسر. كان عندنا عالم كبير، الشيخ بدر الدين الحسني، شيخ سـوريا، من أخلاقه العالية أنه إذا تكلم إنسان أمامه عن إنسان آخر، يقول له: اسكت، أظلم قلبي. لم يكن يسمح لأحد أن يتكلم أمامه عن إنسان آخر.

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾، سبحانك يا رب! لا يوجد أشـهى من اللحم، ولا يوجد شيء له رائحةٌ لا تُحْتَمَل إذا فسد كاللحم، فالله عز وجل اختار مشبَّهًا به دقيقًا جدًّا، لحم الميت المتفسِّخ أنت لا تستطيع أن تواجه رائحته من خمسين مترًا، فكيف إذا أكلته؟ ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.

والحمد لله رب العالمين

المثل السابع والخمسون

سـورة الحديد (مدنية): وترتيبها السورة السابعة والخمسون في المصحف الشريف

﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠ ﴾.

معاني الكلمات:

- أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ: أي: إن الحياة الدنيا أشبه بالأمور التافهة قليلةِ النفع سريعةِ الزوال، وإن تباهى فيها الناس.
- غَيۡثٍ: المطر، ونباتُه هو النبات الذي نما بسببه.
- ٱلۡكُفَّارَ: جمع كافر بمعنى (ساتر)، ويُطلق على الكافر بالله لستره الحقَّ، والمراد في هذا المقام الزَّارِعَ؛ لأنه يَستر حَبَّه تحت التراب.

- ثُمَّ يَهِيجُ : سرعة بلوغِ النباتِ مستواه.

- مُصْفَرًّا : أي: يابسًا، أو آنَ أَوانُ حصادِه.

- حُطَٰمًا : بمعنى كِسَرِ الشيء. (ما يبس من النبات وبقي شيء منه)

- مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ : المتاع هو كلُّ ما ينتَفع به ويُرغب كالطعام وأثاث البيت والسِّلَع والأدوات والمال... إلخ، والغرور: إيهام (من الوهم)، يحمل الإنسانَ على فِعلِ ما يضرُّه.

تفسيرُ الآية:

الآية تتضمَّن أمرين:

الأمر الأول: يريد الله إعلامَنا بأن الحياة الدنيا لها مراحل مختلفةٌ تمرُّ على الإنسان:

أ: اللعب، ب: اللهو، ج: الزينة، د: التفاخر، هـ: التكاثر في الأموال والأولاد.

والأمر الثاني: تشبيه الدنيا -بداية ونهاية- بالنبات الذي يُعجِب الزارِعَ طَراوَتُهُ ونَضارَتُهُ، ثمَّ سُرعان ما يتحوَّل إلى عُشبٍ يابس تذروه الرياح. فالحياة الدنيا متاع الغرور، أي: فيها أدوات للاغترار والمُتعة، يغترُّ بها المُخْلِدُونَ إلى الأرض؛ يتصوّرونها غايةً قصوى للحياة، ولكن هذه الأدوات والوسائل في نظر المؤمنين جِسرٌ ومَعبرٌ للحياة الأخرى يتزوّدون منها إلى حياتهم الأخروية.

إنَّ حياة الإنسان -من لَدُنْ وِلادته إلى نهاية حياته- تتشكَّل من مراحل خمس:

المرحلة الأولى: اللعب، هو نشاط للبدن، وغير مفروض، ولا يهدف إلى غاية، ويتَّخِذ ألوانًا مختلفة حسب تقدُّم عمرِ الطفل.

المرحلة الثانية: اللهو، وهو ما يشغل قلب الإنسان عمَّا يهمُّه، وهذه المرحلة تبتدئ حينما يبلغ ويشتدُّ عظْمُه، فتجد في نفسه مَيلًا ونزوعًا إلى الملاهي وغيرها.

المرحلة الثالثة: حُبُّ الزينة التي تخدع العيون، مثل ارتداء الملابس الفاخرة، وركوب السيارات الفخمة، وحمل الساعات الثمينة... إلخ.

المرحلة الرابعة: التفاخر، وهو تطاوُلُ الناسِ بعضِهم على بعض تفخيمًا ومدحًا وفخرًا.

المرحلة الخامسة: التكاثر في الأموال والأولاد، وهذه المرحلة هي التي يصل فيها الإنسان إلى مرحلةٍ من العمر يفكر في تكثير الأموال والأولاد، ويشيب على ذلك الإحساس.

ثمّ إنّ تقسيم المراحل -التي تمرُّ على الإنسان- إلى خمس لا يعني أنّ كلَّ هذه المراحل تمرُّ على الإنسان بلا استثناء، بل تمرُّ عليه على وجه الإجمال، غيرَ أنَّ بعض الناس تتوقف شخصيتهم عند المرحلتين الأوليين إلى آخر عمره، فيكون اللعب واللهو أهمَّ ما

يميِّز سلوكهم، كما أنَّ بعضَهم تغلِب عليه المرحلة الثالثة والرابعة، فيحرص على التفاخر والتباهي بما لديه من أسباب.

الأمر الثاني: المثل الذي يُجسِّـد حال الدنيا، ويشـبِّهها بأرضٍ خصبـة يصيبها مطر غزير فتزدهر بنباتها على وجهٍ يُعجب الزرَّاعَ، ولكـنْ سرعان ما تذهـب طراوتها ونضارتهـا فيصيبها الاصفرار واليبس، وتذروهـا الرياح في كلِّ الأطراف وتختفي. وهكذا حال الدنيا؛ يغترُّ الإنسـان بأدواتها ويخلُد إليها، ولكن سرعان ما تُسْفِرُ له عن وجهها وتكشـف عـن لثامها، حين يقع الفـراق والرحيل (الموت) وانقلاب الحال وتغيُّر الزمان.

وعـلى أيِّ حال فالآيـة تهدف إلى تحقير متـاع الدنيا، وتعظيم الآخرة، و ضرورة العمل لها؛ لأن الإقبال على متاع الدنيا وجَعْلَها في القلب والسـعي لها فقط هو سـبب الغفلة عن الآخرة ومَطْلبِها من اسـتغلال أدوات هـذه الدنيا في العمل الصالـح المنتِج، وذكرِ الله، وبالتـالي فالآخـرة للإنسـان إما أن يكون فيهـا مغفرةٌ من الله ورضـوان لأهـل التوحيد وصالـحِ الأعمال، وإمـا أن يكون فيها عذاب شديد لأهل الشرك والمعاصي... وعلى ذلك وجب الانتباه وعَـدَمُ الاغـترار بالحياة الدنيا ومتاعهـا؛ لأنها مجرَّدُ مَعْـبَرٍ للحياة الأخروية الأبدية... والله أعلم.

المثل الثامن والخمسون

سورة الحشر (مدنية): وترتيبها السورة التاسعة والخمسون في المصحف الشريف

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ١٤ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٥﴾.

معاني الكلمات:

- مُّحَصَّنَةٍ: التي تحيطها القلاع المنيعة التي تمنع من دخول الأَعداء.
- بَأۡسُهُم: الشدَّة، بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞ أي: العداوة بينهم شديدة، والبغض أشد.
- تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا: أي: تظنُّهم متضامنين مجتمعين.
- وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰ: متفرِّقة.
- لَّا يَعۡقِلُونَ: لا يفكرون بالعقل، وإلَّا لاجتمعوا على الحق ولم يكفروا ويتمزَّقوا.

- ذَاقُوا: قاسوا وأحسوا به.

- وَبَالَ أَمْرِهِمْ: الأمر الذي يُخاف ضرره.

تفسيرُ الآيات:

الآية تصف حالَ بني النضير من اليهود الذين أَجْلَاهم الرسول ﷺ، وقد تآمروا على قتله، وتفاصيل المؤامرة مذكورة في كتب السيرة، فأمرَهم النبي ﷺ بالجلاء وتركِ الأموال، وقد كانوا امتنعوا من تنفيذ أمر الرسول، وكان المنافقون يُصِرُّون عليهم بعدم الجلاء، ووعدوهم بأنْ يُناصروهم عند نشوب حربٍ بينهم وبين المسلمين، فبقيَ بنو النضير أيامًا قلائل في قلاعهم بانتظار وصول إمدادات تُعزِّز قُواهُم.

فالآيات تشرح حال المسلمين مع المنافقين بإمعان، وتخبِر بأنّهم ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾، أي: لا يبرزون لحربكم وجهًا لوجه؛ خوفًا منكم، وإنَّما يقاتلونكم مُتَدَرِّعين بحصونهم، ﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾، أي: يرمونكم من وراء الجُدران بالنبال والسهام. ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾، والمراد من البأس هو: العِداء، أي: عداوة بعضهم لبعض شديدة، فليسوا متَّفقي القلوب؛ ولذلك أكَّد بقوله: ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾، أي: متفرِّقة، ثمّ يُعلِّل ذلك بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾، أي: لا يتفكَّرون.

ثمَّ يُمثِّل لهم مَثلًا، فيقول: إنّ مَثلهم في اغترارهم بعَدَدِهم

وعُدَّتهم وقوَّتهم ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗا﴾، والمراد: مشركو قريش، الذين قُتلوا ببدر منذ فترة قريبة، أي: قبل جلاء بني النضير بستة أشهر، ويُحتمل أن يكون المراد قبيلة بني قينقاع؛ حيث نقضوا العهد فأجلاهم رسول الله بعد رجوعه من بدر، فهؤلاء ﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾، أي: عوقبوا لكفرهم وحربهم لرسول الله ﷺ، ولهم عذاب أليم في الآخرة أيضًا. والله أعلم.

المثل التاسع والخمسون

سورة الحشر (مدنية):

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾

معاني الكلمات:

- ﴿ٱكۡفُرۡ﴾: فعل أمر، أي: غَطِّ واستُر، وهنا بمعنى اعصِ اللهَ وأَنْكِرِ تعاليمَه سبحانه.
- ﴿بَرِيٓءٞ﴾: خالٍ ممَّا أُتَّهَمُ به، غيرُ مُذْنِب.

تفسيرُ الآية:

هذه الآية فيها عدة أقوال:

القول الأول: في حادثة بني النضير، لمّا تآمروا على رسول الله محمد ﷺ في وعدهم بالجلاء، ولكنَّ المنافقين وَعَدوهم بالنصر، فقالوا لهم: ﴿لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ﴾ الحشر/ ١١. ولكنْ كان ذلك الوعد كاذبًا؛ ولذلك يقول سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ الحشر/ ١١. وآية

كذبهم: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ الحشر/ ١٢.

ولقد صَدقَ الخَبر، فأجلاهم الرسول بقوّة وشدة، فلم يظهر من المنافقين أيُّ نصرٍ ومؤازرة لدعم بني النضير، فكان وَعدُهم لهم كوعد الشيطان ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾، فالشيطان يزيِّن للإنسان معصيةَ الرحمن، ولكنّه يتبرَّأ منه في النهاية، فعلى الإنسان أن يدرك تمام الإدراك أن الذي يوسوس له لمعصية الخالق وعدم الخوف من الله هو إبليس لعنة الله عليه، مع أن إبليس نفسه يخاف الله سبحانه.

وهل المخاطَب في قوله: ﴿ٱكْفُرْ﴾ مُطْلَقُ الإنسان الذي ينخدع بأحابيل الشيطان (وأعوانه من البشر) ووعوده الكاذبة ثمَّ يتركه الشيطان ويتبرَّأ منه؟ قيل ذلك، وقيل: بل المخاطب قريش التي وعدَها الشيطان بالنصر في غزوة بدر، كما يحكي سبحانه بقوله: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ الأنفال/ ٤٨، وأعقب الله في الآية ١٧ في سورة الحشر قوله: ﴿فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ الحشر/ ١٧، أي: العقاب في النهاية وفي الآخرة للشيطان (إبليس وأعوانه).

وهناك قول ثالث، وهو: أنّ الشيطان وعدَ عابدًا من بني إسرائيل -واسمه برصيصا- فانخدعَ العابد بالشيطان وكفرَ، وفي اللحظات الحاسمة تبرّأ الشيطان منه! وقصته مذكورة في كتب التفسير. والله أعلم

المثل الستون

سورة الحشر (مدنية):

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

معني الكلمات:

- خَٰشِعًا: السَّكينة الحاكمة على الجوارح عند استشعار عَظَمة الخالق، وأكثر ما يُستعمل لفظ (الخشوع) فيما يظهر على الجوارح، على عكس (الضراعة)، فإنَّ أكثرَ ما تُستعمل فيما يوجد في القلب، وقد ورد أنه إذا ضرِعَ القلب خَشعت الجوارح.

- مُّتَصَدِّعًا: التفرُّق بعد التلاؤم - ومُتَصدِّعًا هنا معناها: متشقِّقًا يكاد ينهار.

- خَشْيَةِ ٱللَّهِ: أي الخوف من الله أنْ لا يكون قد أدَّى حقَّه من التعظيم والعبادة.

تفسيرُ الآية:

للمفسِّرين في تفسير هذه الآية رأيان:

أحدهما: أنّه لو أنزلنا هذا القرآن على جبل -مع ما لهُ من الشدة والقَسوة وقوَّة المقاومة- لتأثَّرَ وتصدَّع من خشية الله، فإذا كان هذا حالَ الجبل، فالإنسان أحقُّ بأنْ يَخشع لله إذا تلا آياته وتفكَّر في ملكوته.

فما أقسى قلوبَ هؤلاء الكفّارِ وأغلظَ طِباعَهم؛ حيث لا يتأثَّرون بسماع القرآن واستماعِه وتلاوتِه، ولا يتفكَّرون في خَلْق الله تعالى.

ثانيهما: أنّ كلَّ مَن له حظٌّ في الوجود فَلَهُ حظٌّ من العلم والشعور، ومن ذلك الجبال، فلها نوعٌ من الشعور، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ البقرة/ ٧٤.

وعلى هذا فمعنى الآية: أنّ هذا القرآن لو نزلَ على جبلٍ لتلاشى وتصدّع من خشية الله وخوفِه، غير أنّه لم ينزل عليه، بل نزل إلى البشر، وهم الأَولى بالخشوع لله عزوجل.

وعلى كِلا المعنيين، فقد تكون هذه الآية من قبيل وصف القرآن وبيانِ عَظمتِه بما يحتوي من الحقائق والأصول.

وقد يكون معنى الآية من قبيل التشبيه، وهو: أنّه سبحانه يُشبِّه قلوب الكفّار والعصاة الذين لا يتأثَّرون بالقرآن- بالجبل والحجارة، وأنّ قلوبَهم كالحجارة إنْ لمْ تَكُنْ أكثرَ صلابةً، بدليل

أنّ الحجـارة يتفجّـر منها الأنهارُ، أو تهبِط (تنهار) من خشـية الله. والله أعلم.

ملحوظة لطيفة:

الآية شاملةٌ لجميع الناس، مُؤْمنِهم وكافرِهم، وهذه الأمثالُ يسـوقها الله للبشر لعلهـم يتفكرون في عظمته، ويتدبـرون آياتِه، ويتأمَّلون معجزاتِه، ويهتدون إلى طريق السعادة في الدنيا، وكذلك في الآخرة. والله أعلم

المثل الواحد الستون

سورة الجمعة (مدنية): وترتيبها السورة الثانية والستون في المصحف الشريف

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾

معاني الكلمات:

- حُمِّلُواْ: كُلِّفُوا بالعمل بما جاء في التوراة.
- أَسْفَارًا: الكتاب الذي يُسْفِرُ عن الحقائق، وجمعهُ أسفار.
- بِئْسَ: فعلٌ يستعمَل للذَّمِّ.

تفسيرُ الآية:

ذكرَ المفسِّرون أنّ الله سبحانه لمّا قال عن الرسول محمد ﷺ: إنّه بعثهُ إلى الأُميين اتّخذت اليهود هذه الآية ذريعةً لإنكار شُمول وعالميَّةِ رسالته، وقالوا: إنّه بُعثَ إلى العرب خاصّةً ولم يُبعَث إليهم (أي: اليهود)، فعند ذلك نزلت الآية، وشبَّهتْهُم بصفة الحمار

الـذي يحمل كُتبًا مفيدةً، ولكنه لا يعلم منها شـيئًا، ولا ينتفع منها أبدًا؛ إذ جاء في التوراة صفةُ الرسـول سـيدنا محمد ﷺ، والبشارةُ بمَقْدَمِه من العرب.

ثم إنَّ هذا المثل يصوِّر حال مَن يفهم معاني القرآن ولا يعمل به، ويُعْرِض عنه إعراضَ مَن لا يحتاج إليه.

وقيـل أيضًـا: ليس هو من الحمـل على الظهـر، وإنّما هو من (الحَمالة) بمعنى الكفالة والضمان، والمراد: والذين ضَمِنُوا أحكامَ التوراة، ثمّ لم يحملوها، أي: لم يُؤَدُّوا حقَّها ولم يحملوها حقَّ حَمْلِها، فهؤلاء ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾.

واخْتِيرَ الحمارُ من بين سائر الحيوانات لطبيعته؛ لِما فيه من الذُّلِّ والجهل والبـلادة، ممَّا ليس في غيره من الحيوانات (وليس لذاته)، مع ملاحظة المناسبة اللفظية بين لفظ (الأسفار) و (الحمار).

إذَنْ فالآية تُنَدِّد باليهود، وفي الوقت نفسِه تُحذِّر عامةَ المسلمين حتـى لا يكـون حالُهم كحال اليهـود، في عدم الانتفـاع بالكتاب المنـزل (القـرآن) الذي فيه دواءُ كلِّ داء، وشـفاءُ ما في الصدور. والله أعلم.

ملحوظة لطيفة:

للأسف الشديد أصبحَ القرآن بين المسلمين اليوم مهجورًا؛ إذ

يُتَبَرَّك به في المناسبات، أو يُجعل تعاويذَ للأطفال، أو زينةً للرفوف، أو يُقرأ في المآتم... إلى غير ذلك ممّا أبعدَ الكثير من المسلمين عن النظر في القرآن بتدبُّر منهم، فيجب الانتباه لذلك، والعودة إلى مراد الله سبحانه من فهم ما جاء به القرآن، والعمل به.

المثل الثاني والستون

سورة التحريم (مدنية): وترتيبها السورة السادسة والستون في المصحف الشريف

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠﴾.

معاني الكلمات:

- فَخَانَتَاهُمَا: أَفْشَتَا أسرارَهما؛ حيث إنهما لم تكونا مؤمنتين، إذَنْ فالخيانة كانت في الدين لا في العرض.
- يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا: أي: إن سيدنا نوحًا وسيدنا لوطًا لم يشفعا لزوجتيهما، ولم يَردَّا عنهما عذاب الله سبحانه في الآخرة.

تفسيرُ الآية:

إنّ من الأساليب في ضرب الأمثال: عَرْضُ نماذِجَ واقعيَّةٍ لِمن بلغ القمَّةَ في مكارم الأخلاق، أو لمن سقطَ في حضيض مَساوِئِ الأخلاق. وقد ضرب الله هنا مثلًا ليبيِّن عدمَ انتفاع الكافر بقرابة المؤمن مهما كانت درجة القرابة عنده. والقرآن في هذه الآية

يَعرض حالَ زوجتين من زوجات الأنبياء ابتُليتا بالنفاق والخيانة، ولم ينفعْهما قربهما من أنبياء الله، امرأة سيدنا نوح وامرأة سيدنا لوط عليهما السلام؛ إذ كانت كلُّ واحدة منهما تحت رسول، فخانتاهما في دينهما، فكانتا كافرتين، فامرأة نوح تُفْشي سِرَّ مَن يؤمِن بزوجها، وتخبِر به الجبابرة من قوم نوح حتى يبطشوا به، وكانت تقول لهم إن زوجها مجنون، وامرأة لوط كانت كافرة، وتدُلُّ المجرمين على ضيوف لوط إذا نزلوا عليه في بيته، وذلك في الليل بواسطة النار، وفي النهار بواسطة الدخان؛ فلِكَوْنهما كافرتين يقال لهما -يوم القيامة-: ادخلا النار مع الداخلين من قوم نوح وقوم لوط عليهما السلام، مع ما لهما من قرابة الزوجية، وما أقواها.

يقول الدكتور راتب النابلسي في تفسير هذه الآية:

هذه الآية توضح حقيقة خطيرة جدًّا، وهي أنه مهما كانت العلاقات في الدنيا وشيجةً، وهل من علاقة ألصق من علاقة الزوجين؟ اندماجٌ كامل، ما من علاقة اندماجية كاملة مستمرة بين إنسانين كعلاقة الزوجين، هذه العلاقة الحميمة، المتينة، الثابتة، المصيرية، لن تشفع لأحدهما إن كان كافرًا؛ لذلك قال عليه الصلاة والسلام: «يا فاطمة بنت محمد»، (ما قال يا فاطمة، زاد إليها بنت محمد، وهل من علاقة أمتن من علاقة الأب بابنته؟) «يا عباس يا عمَّ رسول الله، يا فاطمة بنت محمد، أنقذا نفسيكما من النار، أنا لا أغني عنكما من الله شيئًا» رواه مسلم عن أبي هريرة. وقال أيضاً: «مَنْ

يُبْطِئ به عَملُه لم يسرع به نَسَبُه» رواه أحمد عن أبي هريرة. وفي قول آخر «لا يأتيني الناسُ بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم» رواه أحمد عن أبي هريرة.

ورد أن أبا سفيان شريف مكة، من وجهاء قريش، من أعلى درجات النسب، وقف على باب سيدنا عمر ـ هكذا تروي بعض الروايات ـ وقتًا طويلًا ولم يُسْمَح له، وصهيب وبلال يدخلان على عمر بلا استئذان، فلما وصل إليه عاتبه، قال له: سيد قريش يقف ببابك وصهيب وبلال يدخلان ويخرجان من دون استئذان؟! فأجابه بكلمة واحدة: أنت مثلهما؟ يوم كنت تحارب النبيَّ عليه الصلاة والسلام أين كان هؤلاء؟ كانوا في خدمته. لذلك فإن هذه الآية خطورتها لا تتعلق بعلاقة نسبية، بل بعلاقه صحيحة، قوية متينة، مصيرية ولم تكن كما ينبغي؛ لذلك ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ المؤمنون/ ١٠١.

والحمد لله رب العالمين.

ملحوظة لطيفة:

هذه الآية تُوقِفُنا على أنَّ الأزواجَ -بالإضافة إلى القيام بوظائف الزوجية- يجب عليهم حفظ الأمانة بكلِّ أنواعها، وأوَّلُها حِفْظُ الدين وحفظ أسرارِ البيت وعلاقاتِهم بالعائلة. والله أعلم.

المثل الثالث والستون

سورة التحريم (مدنية):

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾.

معاني الكلمات:

- أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا: من (الحِصْن)، جَمعُهُ حصون وهي القلاع، ويقال للمرأة العفيفة (مُحْصَنَة)؛ لأنَّها تُحصِّن نفسها بالعفاف.

- ٱلۡقَٰنِتِينَ: من القنوت أي لزوم الطاعة مع الخضوع.

تفسيرُ الآيات:

مثّل القرآن في هذه الآيات بنماذج من النساء بَلَغْنَ من التقوى والإيمان منزلةً عظيمةً، حتى تَرَكْنَ الحياة الدنيوية ولذائذها وعزفنَ عن كلِّ ذلك بُغيَةَ الحفاظ على إيمانهنِّ. مثّل القرآن بـ (آسيا بنت مزاحم) امرأة فرعون؛ فقد بلغت من الإيمان والتقوى أنْ

طلبت من الله سبحانه أن يبني لها بيتًا في الجنّة، فقد آمنت بموسى لمّا رأت معجزاتِه الباهرة ودلائله الساطعة، فأظهرت إيمانَها غيرَ خائفةٍ من بَطْشِ فرعون، وقد نُقل أنّه لما علم ذلك قام بتَوْتِيدِها بأربعة أوتادٍ، واستقبلَ بها الشمس ليلقي عليها صخرة إن أصرت على الإيمان بالله، فرفعت بصرَها إلى السماء تدعو ربها... هذه هي المرأة الكاملة التي ضحّت في سبيل عقيدتها، واستقبلت الشهادة بصدرٍ رَحب، ولم تُعِرْ للدنيا وزخارفها أيَّة أهمية، وكان هِتافُها حينما واجهت الموتَ قولَها: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. فقولها: ﴿عِندَكَ﴾ يهدف إلى القرب من رحمة الله، وقولها: ﴿فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ يُبيّن مكان القرب، فقد اختارت جِوارَ ربِّها والقربَ منه، وآثرتْ بيتًا يبنيه لها ربُّها على قصر فرعون الذي كان يَبْهَرُ العقولَ؛ لأن زينة الحياة الدنيا -في نظرها- نعمةٌ زائلة لا تُقاس بالنعمة الدائمة، وقد فاضت روحُها بعد أن أراها الله منزلتَها في الجنة، وذلك قبل أن تصِلَ الصخرةُ إليها.

ثمّ إنّه سبحانه يضرب مثلًا آخر للمؤمنات: (مريم بنة عمران)، في الوقت الذي عمَّ فيه البِغاءُ ديارَ بني إسرائيل، وقد لا تَسْلَمُ امرأةٌ من الزنا في ذلك الوقت، لم يضرَّ ذلك السيدةَ مريم الطاهرة الشريفة العفيفة، يصِفُها ربُّنا بقوله: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ

﴿رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾.

وصفها سبحانه بالصفات التالية:

١. ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾: فكانت عفيفة، وفيه ردٌّ على ما افتعلهُ اليهود من البهتان عليها، كما يُعرِب عنه قوله سبحانه: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ النساء/ ١٥٦.

٢. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾: أي لكونها عفيفةً مُحْصَنةً صارت مُستحقّة للثناء والجزاء، فأجرى سبحانه روحَ المسيحِ فيها، وإضافةُ الروح إليها إضافةٌ تشريفيَّة، فهي امرأة لا زوجَ لها أنجبت ولدًا صار نبيًّا ومن ذوي العزم من أنبياء الله.

٣. ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾: ولعلّ المراد من الكلمات: الشرائع المتقدّمة، والكتب: الكتب المُنزَلة.

٤. ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾: أي: كانت من المطيعين لله، الخاضعين له، الدائمين عليه، وقد جيء بصيغة المذكَّر تغليبًا، يقول سبحانه: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ آل عمران/ ٤٣. والله أعلم.

وقال الدكتور راتب النابلسي في تفسير هذه الآيات:

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ كانت زوجة أكبر جبابرة الأرض؛ لأن هذا الفرعون قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ النازعات/ ٢٤، وزوجته أقرب الناس إليه، تعيش معه في

فـراش واحد، ومع ذلك لها عند الله مكافأة، لا علاقة لهذه المكافأة بأنهـا زوجـة فرعـون أَكْفَـرِ كُفَّـارِ الأرض: ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

في هذه الآية اسـتنباط خطيرٌ جدًّا: أن المرأة مسـتقلَّةٌ في دينها عـن زوجها. أية امرأة تقول: هكذا يريـد زوجي، الذنْبُ ذنبُهُ، أنا ليـس لي علاقة، هذه الحُجة مرفوضة، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. أيضًا الزوج ينبغي ألَّا يخضع، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

لا الزوجـةُ ينبغـي أن تنصاع لأمـرٍ ظالمٍ من زوجهـا يدفعها إلى المعصيـة، ولا الـزوج ينبغي أن يخضع لزوجتـه بأن تحمِله على المعصية، والدليل موقف امرأة فرعون منه.

والحمد لله رب العالمين

المثل الرابع والستون

سورة المُلك (مكية): وترتيبها السورة السابعة والستون في المصحف الشريف

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾
أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾.

معاني الكلمات:

- أَمَّنْ: أصلها: (أَمْ مَنْ؟)، ثم أُدغِمَتا، وهي تفيد الاستفهام والتأنيب.

- أَمْسَكَ: منع.

- لَّجُّوا۟: من اللَّجاج: التمادي والعناد في تعاطي الفعل المزجور عنه.

- عُتُوٍّ: التمرُّد والتكبُّر.

- وَنُفُورٍ: التباعد عن الحقّ.

- مُكِبًّا: من الكَبْو، وهو إسقاط الشيء على وجهه، قال سبحانه: ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ النمل/ ٩٠، وقيل: مُنكَّسًا رأسُهُ إلى

الأرض، فهو لا يُبصر الطريقَ.

- **يَمْشِي سَوِيًّا**: يمشي سالكاً السبيلَ السويَّ والطريق المستوي المستقيم.

تفسيرُ الآيات:

سياق هذه الآيات في هداية كفار قريش، فقال تعالى مخاطبًا لهم: مَن الذي سيطعمكم ويسقيكم ويأتي بأقواتكم إنْ أمسك الله نِعمَهُ عنكم، لن يفعل ذلك أحدٌ غيرُ الله عزوجل. ولكنَّ كفارَ قريش لم يتأثَّروا بهذا التأنيب، بل تمادَوا. فمَثَلُ هؤلاء مَثَلُ مَن يمشي على أرض متعرِّجةٍ غيرِ مُستوية تَكثُر فيها العثرات، وبالتالي يسقط الماشي مُكبًّا على وجهه، ، وأمَّا المؤمن المُهتدي فهو كمَن يمشي مستقيمًا (وجهه إلى الأمام) على جادَّةٍ مستويةٍ مستقيمةٍ ليس فيها عثرات، فيَصِلُ إلى هدفه بسهولة.

فالاختلاف بين هاتين الطائفتين ليس في كيفية المشي، وإنّما الاختلاف في الطريق؛ حيث إنّ طُرُقَ الكفّارِ مُلْتويةٌ مُتعرِّجةٌ فيها عَقبات كثيرة، وطريقَ المُهتدين مستقيمةٌ لا اعوجاج فيها، فعاقبة المشي في الطريق الأول هي الانكباب على الأرض، وعاقبة المشي في الطريق الثاني هي الوصولُ إلى الهدف.

وقيل: المراد أنّهم بتماديهم في عناد عجيب ونفور من الحقّ -كمَن يسلك سبيلًا وهو مُكِبٌّ على وجههِ لا يرى ما بعد موضع

قدميــه في الطريق مــن ارتفاع وانخفاض ومزالــق ومعاثر، فليس هذا الســائر كمَن يمشي ســويًّا على صراط مستقيم، فيرى موضع قَدمه وما يواجهه من الطريق على اســتقامة وما يقصده من الغاية. والله أعلم.

المثل الخامس والستون

(اعتبر بعض المفسرين أن هذه الآية من الأمثال)

سورة المدثر (مكية): وترتيبها السورة الرابعة والسبعون في المصحف الشريف

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾.

معاني الكلمات:

- أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ : أي: خَزَنَتها القائمين عليها (الملائكة).
- عِدَّتَهُمْ : عَدَدَهُم، (أي: كَوْنهم تسعة عشر).
- فِتْنَةً: اختبارًا أو ضلالة للذين كفروا، وقيل: عذابًا.
- لِيَسْتَيْقِنَ : أي: ليحصل له قوةُ اليقين.
- وَلَا يَرْتَابَ : لا يشكَّ.

- فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ: مرضُ النفاق.

- جُنُودَ رَبِّكَ: ملائكته وآياته الكونية (كالمطر والريح وغيرهما...).

- ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ: أي ليتذكر الناسُ بها.

تفسير الآيات:

لمّا نزلَ قولُه سبحانه: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ المدثر/ ٢٦-٣٠، قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أُمَّهاتُكم! أتسمعون ابن أبي كُبَيْشَة؟ يخبركم أنَّ خَزَنة النار تسعة عشر، وأنتم الدُّهْمُ (أي: الجماعة الكثيرة)، أَفَيَعْجَزُ كلُّ عشرة منكم أن يبطِشوا برجلٍ من خَزَنة جهنَّم؟ فقال أبو أسد الجمحي: أنا أكفيكم سبعة عشر، عشرة على ظهري، وسبعة على بطني، فَاكْفُونِي أنتم اثنين، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾، أي: جعلنا أصحاب النار ملائكةً أقوياءَ مُقْتَدِرين، وهم غِلاظ شِداد، يقابلون المُذْنِبين بقوَّة. فالكفّار ما قَدَروا الله حقَّ قَدْرِه، وما قَدَرُوا جنودَ ربِّهم، وظنُّوا أنَّ كلَّ جنديٍّ من جنوده سبحانه يعادل قوّة فردٍ منهم.

ثمَّ إنّه سبحانه يذكر الوجوه التالية سببًا لجَعْلِ عِدَّتهم تسعة عشر:

الوجه الأول: ﴿فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، فهو سبحانه لم يجعل عدّتهم تسعة عشر إلّا للفتنة والاختبار، كما قال سبحانه: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ

﴿أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ الأنفال/ ٢٨، أي: يختبر بهم الإنسان. وهنا جعل عِدَّتهم ليختبر بها الكافرَ والمؤمنَ، فالذي كَفَرَ يزداد حيرة واستهزاءً وضلالًا، ويزداد المؤمنُ إيمانًا وتصديقًا.

وأمَّا الوجه الثاني: ﴿لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾، أي: يتأكَّدَ أهلُ الكتاب من اليهود والنصارى أنَّ القرآن حقٌّ؛ فما جاء في القرآن عن عدد خَزَنَةِ النار موافق لما جاء في كتبهم، وليتأكَّدوا أنَّ محمّدًا رسولٌ صادق؛ حيث أخبرَ بما في كتبهم من غير قراءة ولا تعلُّم.

وأمّا الوجه الثالث: ﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾، وذلك بتصديق أهل الكتاب، فإذا رأوا تسليمَ أهلِ الكتابِ وتصديقَهم يترسَّخ الإيمان في قلوبهم.

والوجه الرابع: ﴿وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾، وهو أشبه بالتأكيد للوجهين الثاني والثالث.

وأمّا الوجه الخامس: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗا﴾، وهذا ليس من غايات جَعل عدّتهم تسعة عشر، وإنّما هي نتيجة تعود على الجاحدين قهرًا، ويُسمّى ذلك: لام العاقبة، كالتي في قوله سبحانه: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا﴾ القصص/ ٨، ومن المعلوم أنّ فرعون لم يتّخذه لتلك الغاية، وإنّما اتّخذه ليكون ولَدًا له، ولكن ترتّبت تلك النتيجة على

عملهم فصار عدوًّا لفرعون شاؤوا أَمْ أَبَوا.

ثمّ إنّه سبحانه يختم الآية بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾، أي: إنَّ الحقائـقَ الناصعـةَ والآياتِ الواضحـةَ تتلقَّاها القلوب المختلِفة تَلَقِّيًا مختلِفًا، يهتدي بها فريقٌ ويضِلُّ بها فريقٌ آخرُ حسب ما يشاء سبحانه.

﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ﴾، أخـبر تعالى أن لـه جنودًا لا يعلمها إلا هو سـبحانه، وأن جهنم ما هي إلا تذكرة للبشر يذكـرون بها عظمة الله ويخافون عقابـه... وجائز أن يكون الضمير (وما هي) عائدًا إلى الآيات القرآنية، أو إلى سقر (جهنم) أو إلى جنود ربك، وهذا من الإعجاز القرآني في أن الكلمةَ الواحدةَ تدل على ما لا يدلُّ عليه عشرات الكلمات، فالظاهر أنّها ليست من قبيـل المثل؛ لِما عرفتَ من أنّه عبارة عن تشـبيه شيء بشيء، وإفراغ المعنى المعقول في قالب محسوس لغاية الإيضاح.

وعلى ذلك، فقوله سبحانه: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾، أي: ماذا أرادَ الله به وصفًا. والله أعلم.

المثل السادس والستون

(إعتبر بعض المفسرين هذه الآيات من الأمثال).

سورة المدثر (مكية):

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾

معاني الكلمات:

- ٱلتَّذْكِرَةِ: الموعظة.
- مُعْرِضِينَ: مُنْصَرفين؛ لا يسمعون ولا يُقْبِلُون عليها.
- حُمُرٌ: جمع حمار، والمراد الوحشية منها.
- مُّسْتَنفِرَةٌ: النُّفرة: حالة الاستعداد والتَّأَهُّب.
- فَرَّتْ: هربت.
- قَسْوَرَةٍ: الأسد.
- يُؤْتَىٰ: يصبح عنده.
- صُحُفًا مُّنَشَّرَةً: ورقًا مكتوبًا.

تفسير الآيات:

أي: ما لهؤلاء المشركين المكذِّبين بالبعث والجزاء مُنْصَرِفِين عن تَقَبُّل المواعظ التى أتى بها القرآن، كأنهم حمير وحشية تَفِرُّ هاربة أشدَّ الهرب من أسد من الأُسود الطاغية؟! إن فرار الكافرين من هذه الدعوة وإعراضَهم عنها ليس عن قُصُورٍ في أدائها وضعفٍ في حُجَّتِها، بل يريد كلُّ واحد منهم أن يؤتَى كتابًا مخطوطًا من الله يأمره فيه بالإيمان واتباع سيدنا محمد ﷺ، وهذا هو العناد والمكابرة، ومنهم أبوجهل الذي ذكر القرآن كلامه: ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ الإسراء/ ٩٣.

ويتابع ربُّ العزة كلامَه قائلًا: ﴿كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ المدثر/ ٥٣، أي: ليس الأمر كما يقولون ويدَّعون، بل إن عِلةَ إعراضِهِمُ الحقيقيةَ عدمُ خَوفِهم من عذاب الله تعالى، ومن ثَمَّ جاء قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ المدثر/ ٥٥، أي: إن هذا القرآنَ تَذْكِرَةٌ وموعظة للناس لمن شاء أن يقرأه ليتَّعِظ، وبذلك ينجو ويسعد في أجواء مولاه، ومن لم يشأ ذلك فحَسْبُهُ جهنم كما قال سبحانه: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ المدثر/ ٢٩.

ثم ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ المدثر/ ٥٦، أي: ما يَذْكُرُ مَن يذكُر إلا بمشيئة الله، فلا بُدَّ من الافتقار والدعاء وطلب التوفيق في ذلك؛ إذ لا استقلالَ ولا استغناءَ لأحدٍ

عن الله، ولا غنى لأحد عن الله تعالى؛ فالكلُّ مُفْتَقِرٌ إليه، ومشيئة الإنسان تابعة لمشيئة الله. والله تعالى أعلم.

وفي تفسير آخر للدكتور راتب النابلسي قال:

في هذه الآية يشبه اللهُ عزوجل الإنسانَ الذي أعرض عنه بالحُمُر (جمع حمار) الوحشية، وقال عنه: ذَكَّرْتُهُ فلم يَتَذَكَّر، نَبَّهْتُهُ فلم يَنْتَبِه... الإنسان نوعان: مُقْبِلٌ ومُعْرِضٌ، مستقيم ومُنحرِف، أما المُعْرِض فقد قال فيه ربنا جلَّ وعلا: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ طه/ ١٢٤-١٢٦، وأما من أقبل على الله فيقول عنه الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ سورة الليل/ ٥-٧. وبالتالي فقد فاز بتيسير الله له الهدى، وهي طريق الاستقامة والتوفيق للوصول إلى الجنة بإذن الله.

والحمد لله رب العالمين.

ثالثًا:
الأمثال الأُخرى المتعارف عليها

هنـاك أمثال أُخرى تتداول بين النـاس وهي بمجملها حكم عامة رأينا من المناسب تناولُها بإيجاز بغرض إكمال البحث بمعرفتها والتفريق بينها وبين الأمثال في القرآن الكريم وهي:

أ - الآياتُ التي تجري مَجْرى المَثَل.

القـرآن الكريم كُلُّه حِكَمٌ وعِظـاتٌ، بَلاغاتٌ وعِبَر، وقد قام غيرُ واحـدٍ من المُحقّقـين باسـتخراج الحِكم الواردة فيـه، والتي صارت أمثالًا سـائرة عَبْرَ القرون، تُتَداوَلُ على الأَلسُـن في شـتَّى شـؤون الحياة، وقد سـبق القولُ: إنَّ هذه الآيات لم تنزل بوصف (المثَـل)؛ لأَنّها عبارة عن كلام تداولته الألسـنُ في شـتى شـؤون الحياة فصارت أمثالًا سائرة دارِجة.

ومـن الواضح أنّ الحِكـم الواردة في القـرآن نزلت من دون سَـبْقِ مثال لهـا، ولم تكن يومَ نُزولِها موصوفةً بوصـفِ المَثل، وإنّما أُضفي عليها هذا الوصف عبر مرِّ الزمان، وهي كما يلي:

١. ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ البقرة/ ٢١٦.

تقال عند حدوث شيء في حياة المؤمن من مكاره وغم وخسـارة، وتكون نهايتها مسرات وفرجاً وربحاً.

٢. ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ﴾ البقرة/ ٢٤٩.

تقال عند تشـجيع الناس على العمل والجهاد إن كانوا قليلي العدد قياسـاً بالمقابل من المنافسـين أو الأعداء الكثر (شرط إعداد العدة

والتوكل على الله).

٣. ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة/ ٢٨٦.

تقال عند حصول أمور لا قدرة للنفوس عليها وهذا بعيد عن التكليف، ويقال أيضاً في أمور لنا قدرة عليها ولكن بمشقة وجهد قليل.

٤. ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ آل عمران/ ٩٢.

تقال للحث على بذل الوقت والجهد في العمل الشريف للوصول إلى الأهداف المنتقاة. وكذلك بذل المال للفقراء والمساكين.

٥. ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ المائدة/ ٩٩.

تقال لناقل الرسائل للأطراف المختلفة وهو غير معني بها ولا رأي له بها.

٦. ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ المائدة/ ١٠٠.

تقال عند تحذير الناس من الشر والحرام وترغيبهم في الخير والحلال. أو تحذيرهم من الأشرار.

٧. ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ الأنعام/ ٦٧.

تقال عند كل خبر غير معلوم في الحاضر وسوف يُعلم من المستقبل عند حلوله.

٨. ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ الأنفال/ ٢٣.

تقال عند سماع البعض للحق والخير ومع ذلك يبتعدون عنه.

٩. ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ التوبة/ ٩١.

تقال عند اتخاذ المواقف من الآخرين إذا صدرت منهم مخالفة، أو قصور عن أمر، أو خطأ في اجتهاد، أو اضطرارا لعذر، أو نحو ذلك من الأمور، (وهي تصح عند قبول العذر وفي حال عدم قبوله أيضاً).

١٠. ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ يونس/ ٩١.

تقال عند إدراك عاقبة الأمور بعد فوات الأوان.

١١. ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ هود/ ٨١.

تقال عندما يُطلب عدم الاستعجال في الحصول على المبتغى.

١٢. ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ يوسف/ ٤١.

تقال عند وقوع الحكم الناجز على موضوع ما بين طرفين.

١٣. ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ يوسف/ ٥١.

تقال عند ظهور الحق وإبطال الباطل.

١٤. ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ الإسراء/ ٨٤.

تقال لكل امرئٍ يشبهه فعله.

١٥. ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ الحج/ ١٠.

تقال عند الجزاء على العمل، سواء كان خيراً أو شراً.

١٦. ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ الحج/ ٧٣.

تقـال للتنبيه على ضعف المخلوقات: الطالب الذي يريد أن يعمل شيئاً، والمطلوب الذي لا يستطيع أن يقدم شيئاً.

١٧. ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ الروم/ ٣٢.

تقال حين يتفرق الجمع وكل منهم اعتقد بشيء وسنَّه للآخرين.

١٨. ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ الروم/ ٤١.

تقال عند ظهور الفساد والشر علانية وجهراً دون حياء أو رادع.

١٩. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ سبأ/ ١٣.

تقال لمن لا يشـكر على فضل إنعام الله عليه، وأيضاً لمن لا يشـكر أفعال الناس.

٢٠. ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ سبأ/ ٥٤.

تقـال لمن يتوفى وروحـه متعلقة بالحياة الدنيا، ولمن لم يتسـنَّ له في آخر لحظة كسب ما يشتهي ويتمنى.

٢١. ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ فاطر/ ١٤.

تقال لمن تستنصحه وتسترشده وتأخذ برأيه وتطيعه لمعرفته بالأمر وخبرته.

٢٢. ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ فاطر/ ٤٣.

تقـال لتحذير أهل المكر السـيئ بأن العاقبة سـوف تـدور عليهم وتكون برداً وسلاماً على كل من يمكر به بسوء وهو بريء.

٢٣. ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ﴾ يس/ ٧٨.

تقال للملحدين الذين يضربون أمثالاً بالمادة والاختراعات وينسون ما خلق الله، وينسون أن المادة نفسها هي خلق الله.

٢٤. ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ الصافات/ ٦١.

تقال في مجال التنافس على العمل الشريف الجاد المنتج، وكذلك لتشجيع وتحفيز العاملين.

٢٥. ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ ص/ ٢٤.

تقال في سياق أن البركة تكمن في حركة وعمل القليل من الناس كما أراد الله، لا كما يفعله أكثر الناس.

٢٦. ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ النجم/ ٥٨.

تقال عند التعرض للصعوبات والضيق والمشاكل، حتى يطمئن قلب الداعي بأن الله هو القادر وحده على حل هذه المشاكل.

٢٧. ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ الرحمن/ ٦٠.

تقال عند العرفان بالجميل، والاحترام للناصح وذوي الفضل، فبالإحسان تكتسب النفوسُ ويُشترى الحب والود، وكذلك تقال عند التشجيع على الإحسان؛ لأن الله دعا إليه، وجزاؤه الإحسان رغم الفرق بين (إحسان وإحسان).

٢٨. ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ الحشر/ ٢.

تقال للزجر عن الأعمال السيئة بالنظر إلى عاقبة الأمور، سواء بما

حصل في الواقع أو ما قد يحصل في المستقبل قياساً على ما حصل سابقاً في حالات مماثلة.

٢٩. ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ الحشر/ ١٤.

تقال عن الأعداء والخصوم، ظاهرهم التوحد على الأمر، وفي الحقيقة هم متفرقون لتضارب مصالحهم.

٣٠. ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ المدّثر/ ٣٨.

تقال عند الإساءة لإنسان ما، فالذي أساء مرتهن بإساءته ومقيد بها، لا يستطيع منها فكاكاً، ولا يستطيع أن ينطلق كما يريد، وسيجزى عليها في الدنيا والآخرة.

٣١. ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ الأعراف/ ٣١.

تقال في أمر الإباحة وعدم الإسراف في الغذاء والشراب (وكذلك بالعمل).

٣٢. ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ الكهف/ ٧٨.

تقال عند انتهاء العلاقة بين طرفين عند الاختلاف على أمر ما.

٣٣. ﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ النور/ ٣٥.

تقال عند انشراح صدر المؤمن من فعل الخير وهو (من الله سبحانه) وانعكاسه على وجهه وتصرفاته وأقواله.

٣٤. ﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾ الروم/ ١٩.

تقال في مثل حالات إخراج النبات من الأرض الميتة أو من البذرة،

وإخراج صغير السمك من البيضة أو غيرها.

٣٥. ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُون﴾ الزمر/ ٩.

تقال عند مناقشة أمر ما بين العالم بالأمور والجاهل بها.

٣٦. ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيدِيهِمْ﴾ الفتح/ ١٠.

تقال للقوم بمعنى أن قوة الله معهم، وتقال أيضاً عن الأعداء المغرورين الظالمين بمعنى أن الله قادر عليهم.

٣٧. ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُون﴾ الصف/ ٢.

تقال لمن ينصحون بالخير ويحثون عليه وهو ما لا يفعلونه (من أجل المديح فقط)، وقد يكونون متلوثين أو متصلين بالشر.

٣٨. ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ الكافرون/ ٦.

تقال لمن يخالفك العقيدة، أو الذي ليس على ملتك، من غير إكراه، أو تقال للذي لا يريد أن يعمل بما تؤمن أنت به وتعمل له.

ب ـ الأمثال النبوية:

الأمثال النبوية قد تَرِدُ في واقعةٍ لمناسبة اقْتَضَتْ وُرُودَ ما فيها، ثم يتداولها الناس في غير واحد من الوقائع التي تشابهها دون أدنى تغيير؛ لما فيها من إيجازٍ ودِقَّةٍ في التصوير.

والأمثال النبوية هي سَرْدٌ وَصْفيٌّ أو قَصصيٌّ، أو صورةٌ بيانية لتوضيح فكرةٍ ما عن طريق التشبيه والتمثيل؛ لتقريب المعقول من المحسوس، أو أحدِ المَحْسُوسَين إلى الآخر، وقد يصبح مثلًا سائرًا إذا شاع بين الناس.

لقد أفرد الترمذيُّ كتابًا للأمثال النبوية، وجمع فيه أربعة عشر حديثًا، منها: قال رسول الله ﷺ:

١- «أرأيتم لو أنَّ نهرًا بباب أَحدِكم يغتسلُ منه كلَّ يومٍ خمسَ مرَّاتٍ، هل يبقى من دَرَنِهِ شيءٌ؟» قالوا: «لا يبقِي من دَرَنِه شيءٌ»، قال: «فذلِكَ الصلواتُ الخَمْسُ؛ يمحو اللهُ بِهِنَّ الخطايا». رواه الترمذي.

كما جمع السيوطيُّ اثنين وأربعين حديثًا تبدأ بكلمة (مثل) منها:

٢- «مَثَلُ البيتِ الذي يُذكَرُ اللهُ فيه والبيتِ الذي لا يُذكَرُ اللهُ فيه مَثَلُ الحيِّ والميت». رواه البخاري ومسلم. إلى ما هنالك...

وكذلك قام الكثيرُ من العلماء بجمع وتبويب الأمثال في الأحاديث النبوية الشريفة، مثل:

٣- «البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، والإثم ما حاكَ في صَدرِك وكَرِهْتَ أنْ

يَطَّلع عليه الناس». صحيح مسلم.

٤- «أَحْبِبْ حبيبَكَ هونًا ما؛ عسى أنْ يكونَ بَغِيضَكَ يومًا ما، وأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هونًا ما؛ عسى أنْ يكونَ حبيبَكَ يومًا ما».

رواه الترمذي.

٥- «الأرواحُ جُنودٌ مُجَنَّدةٌ، فما تعارفَ منها ائْتَلَفَ، وما تَناكَرَ منها اختلف». رواه البخاري.

٦- «انْصُرْ أخاكَ ظالمًا أو مظلومًا»، قالوا: «يارسول الله، هذا ننصُرُهُ مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟!» قال: «تأخذُ فوقَ يَدَيهِ». رواه البخاري.

٧- «إياكُمْ وخَضْراءَ الدِّمَنِ». قيل: «وما خضراءُ الدِّمَنِ يا رسول الله؟ قال: «المرأة الحسناء في مَنْبَتِ السُّوء». رواه الدارقطني في الأفراد

٨- «التَمِسُوا الرفيقَ قَبلَ الطريقِ، والجارَ قبلَ الدار». رواه الطبراني.

٩- «حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمي ويُصِمُّ». رواه أبو داود وأحمد.

١٠- «الحربُ خِدْعَةٌ». رواه البخاري.

إلى ما هنالك من الأحاديث التي لا يَتَّسِع المقامُ لِذِكْرِها هنا، وللمزيد من هذه الأمثلة التي وردت في الأحاديث النبوية الشريفة يمكن الرجوع إلى الكتب المتخصصة بذلك.

وبالإضافة إلى الأمثال النبوية فقد استخدم الرسول ﷺ أدواتٍ توضيحيَّةً عديدةً لإبلاغ رسالةِ رَبِّهِ، ومنها الأساليب التالية:

١ ـ استعانته بالأصبع:

ومن ذلك قولُهُ ﷺ: «بُعِثْتُ والساعةَ كَهَاتَيْنِ، وقَرَنَ بينَ السَّبابةِ والوُسطى». رواه البخاري ومسلم.

٢ ـ استعانته بالرسم والأدوات التوضيحية:

كَأَنْ يغرِزَ عُودًا في الأرض لِيُبَيِّن أمرًا ما، فعندما تحدث عن قضية اتباع سبيل الله وصراطِهِ المستقيم والتحذيرِ من سُبُلِ الشيطان: «خَطَّ خطًّا مُرَبَّعًا، وخط خطًّا في الوسط خارجًا منه، وخط خطوطًا صغارًا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: هذا الإنسان، وهذا أَجَلُهُ مُحيطٌ به، أو قد أحاط به، وهذا الذي هو خارجٌ أَمَلُهُ، وهذه الخطوط الصغارُ الأَعراضُ، فإنْ أخطأَهُ هذا نَهَشَهُ هذا، وإنْ أخطأه هذا نَهَشَهُ هذا». رواه البخاري.

ج- ما وردَ من كتاب الله تعالى مُناسِبًا لكلام وأمثال العرب:

ثَمَّـةَ مُشـابِهاتٌ في كلام العرب لِما جاء في القـرآن من الحِكَم، وفي الأمثال ما يُقابلها من الآيات، من ذلك:

أ: العربُ تقول في وضوح الأمر: «قَدْ وَضَحَ الصبحُ لذي عينين». وفي القرآن: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ يوسف/ ٥١.

ب: وتقول العرب في فوات الأمر: «سَـبقَ السـيفُ العَـذَلَ». وفي القرآن: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ يوسف/ ٤١.

ج: وتقـول العرب في تلافي الإسـاءة: «عاد غيثٌ على ما أفسـد». وفي القرآن: ﴿مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾ الأعراف/ ٩٥.

د: وتقول العرب في الإساءة إلى مَن لا يقبل الإحسان: «أعطِ أخاك تمرة، فإنْ أبى فجمـرة». وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ الزخرف/ ٣٦.

هـ: والعرب تقـول في فائدة المُجازاة: «القتـلُ أَنْفى للقتل». وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ البقرة/ ١٧٩.

و: وتقول العرب في اختصاص الصُّلح: «لكُلِّ مَقامٍ مَقالٌ». وقال تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ الأنعام/ ٦٧.

ز: قولهم: «ما تَزْرَعْ تَحْصُـدْ». وقال تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ النساء/ ١٢٣.

ح: قولهم: «للحيطان آذان». وقال تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ التوبة/ ٤٧.

ط: قولهم: «احذَرْ شرَّ مَن أحسنتَ إليه». وقال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ التوبة/ ٧٤.

ي: وقولهم: «لا تلِدُ الحيَّةُ إلَّا حَيَّةً». وفي القرآن: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ نوح/ ٢٧.

وغير ذلك كثير. والله أعلم.

وأخيراً هذا ما تم جمعه وإعداده من مختلف الكتب والمصادر، ونرجو أن نكون قد وفقنا لبيان وشرح الأمثال في القرآن الكريم وما ورد عن الرسول الكريم ﷺ في الأمثال، وإن كان هناك من نقص وتقصير في هذا الموضوع فنستغفر الله ونتوب إليه، وإن كان هذا الكتاب قد بين بعض الأمور التي قد أشكلت على البعض فمن توفيق الله عز وجل، وهو الهادي إلى سواء السبيل، وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين.

المراجع:

١ – كتاب الأمثال في القرآن الكريم، للشيخ «جعفر السبحاني».

٢ – أيسر التفاسير، «للشيخ أبوبكر الجزائري».

٣ – التفسير الميسر، «للشيخ عائض القرني»

٤ –من تفاسير الأمثال في القرآن الكريم، للدكتور «راتب النابلسي»

المحتويات

- الإهداء: ٥
- أولًا: المقدمة ٩
- ثانيًا: الأمثال في القرآن الكريم: ٢٥

سورة البقرة:
(وترتيبها السورة الثانية بالمصحف الشريف)

١- ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ (البقرة: ١٧) ٢٦

٢- ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة ١٩) ٣١

٣- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (البقرة:٢٦) ٣٤

٤- ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ٧٤) ٣٨

٥- ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٧١)..... ٤١

٦- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ٢١٤) ٤٥

٧- ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١) ٤٨

٨- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٦٤) ٥٣

٩- ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٦٥) ٥٥

١٠- ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ

فِيهِ نَارٌ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴾
(البقرة: ٢٦٦) ٥٨

١١- ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة: ٢٧٥) ٦١

سورة آل عمران:

(وترتيبها السورة الثالثة بالمصحف الشريف)

١٢- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾
(آل عمران: ٥٩) ٦٥

١٣- ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾
(آل عمران: ١١٧) ٦٧

سورة الأنعام:

(وترتيبها السورة السادسة بالمصحف الشريف)

١٤- ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾
(الأنعام: ١٢٢) ٧١

سورة الأعراف:

(وترتيبها السورة السابعة بالمصحف الشريف)

١٥- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف:٤٠) ٧٤

١٦- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ (الأعراف: ٥٧-٥٨) ٧٧

١٧- ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٦) ٨٠

سورة التوبة:

(وترتيبها السورة التاسعة بالمصحف الشريف)

١٨- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾ (التوبة: ١٠٧) ٨٤

سورة يونس:

(وترتيبها السورة العاشرة بالمصحف الشريف)

١٩- ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا

يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (يونس: ٢٤) ٨٨

سورة هود:

وترتيبها السورة الحادية عشرة بالمصحف الشريف

٢٠- ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (هود: ٢٤)..... ٩٢

سورة الرعد:

(وترتيبها السورة الثالثة عشرة بالمصحف الشريف)

٢١- ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ (الرعد: ١٤) ٩٦

٢٢- ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ (الرعد: ١٧) ٩٨

سورة ابراهيم:

(وترتيبها السورة الرابعة عشرة بالمصحف الشريف)

٢٣- ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ (إبراهيم: ١٨) .. ١٠٤

٢٤- ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ (إبراهيم: ٢٤) ١٠٧

٢٥- ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ (إبراهيم: ٢٦) ١١١

٢٦- ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ (إبراهيم: ٤٤) ١١٤

سورة النحل:

(وترتيبها السورة السادسة عشرة بالمصحف الشريف)

٢٧- ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (النحل: ٥٨-٦٠) ١١٧

٢٨- ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: ٧٥) ١٢٠

٢٩- ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (النحل: ٧٦) ١٢٣

٣٠- ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (النحل: ٩١ ـ ٩٢) ١٢٦

٣١- ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ (النحل: ١١٢) ١٣٠

سورة الإسراء:

(وترتيبها السورة السابعة عشرة بالمصحف الشريف)

٣٢- ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٩)..... ١٣٥

سورة الكهف:

وترتيبها السورة الثامنة عشرة بالمصحف الشريف

٣٣- ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ (الكهف: ٣٢)..... ١٣٧

٣٤- ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ (الكهف: ٤٥)..... ١٤٤

سورة الحج:

(وترتيبها السورة الثانية والعشرون بالمصحف الشريف)

٣٥- ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ (الحج: ٣٠) ١٤٧

٣٦- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ (الحج: ٧٣)..... ١٥١

سورة النور:

(وترتيبها السورة الرابعة والعشرون بالمصحف الشريف)

٣٧- ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٣٥) ١٥٤

٣٨- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (النور٣٩) ١٥٩

٣٩- ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ۚ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ (النور: ٤٠)..... ١٦٢

سورة الفرقان:

(وترتيبها السورة الخامسة والعشرون بالمصحف الشريف)

٤٠ - ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ٧) ١٦٦

٤١ - ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: ٤٤) ١٦٩

سورة العنكبوت:

(وترتيبها السورة التاسعة والعشرون بالمصحف الشريف)

٤٢ - ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤١) ١٧٣

سورة الروم:

(وترتيبها السورة الثلاثون في المصحف الشريف)

٤٣ - ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الروم: ٢٨) ١٧٧

سورة فاطر:

(وترتيبها السورة الخامسة والثلاثون في المصحف الشريف)

٤٤ - ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ (فاطر: ٩) ١٨١

٤٥- ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (فاطر:١٢) ١٨٣

٤٦- ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾ (فاطر: ١٩-٢٠) ١٨٦

سورة يس:

(وترتيبه السورة السادسة والثلاثون في المصحف الشريف)

٤٧- ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ (يس: ١٣) ١٨٨

٤٨- ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ (يس: ٧٨). ١٩٦

سورة الزمر:

(وترتيبها السورة التاسعة والثلاثون في المصحف الشريف)

٤٩- ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٢٩) ١٩٨

سورة الزخرف:

(وترتيبها السورة الثالثة والأربعون في المصحف الشريف)

٥٠- ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (الزخرف:٦-٨) ... ٢٠٠

٥١- ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ (الزخرف: ٥٤-٥٦)..... ٢٠٣

٥٢- ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ٦٠ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ (الزخرف: ٥٧-٦١) ٢٠٦

سورة محمد:

(وترتيبها السورة السابعة والأربعون في المصحف الشريف)

٥٣- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ﴾ (محمد: ٢-٣) ٢٠٩

٥٤- ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ﴾ (محمد: ١٥) ٢١٣

سورة الفتح:

(وترتيبها السورة الثامنة والأربعون في المصحف الشريف)

٥٥- ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ (الفتح: ٢٩) ٢١٥

سورة الحجرات:

(وترتيبها السورة التاسعة والأربعون في المصحف الشريف)

٥٧- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٢) ٢٢٠

سورة الحديد:

(وترتيبها السورة السابعة والخمسون في المصحف الشريف)

٥٦- ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ (الحديد: ٢٠) ٢٢٤

سورة الحشر:

(وترتيبها السورة التاسعة والخمسون في المصحف الشريف)

٥٨- ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الحشر: ١٤-١٥) ٢٢٨

٥٩- ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الحشر: ١٦) ٢٣١

٦٠- ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر: ٢١) ٢٣٤

سورة الجمعة:

(وترتيبها السورة الثانية والستون في المصحف الشريف)

٦١- ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الجمعة: ٥)..... ٢٣٧

سورة التحريم:

(وترتيبها السورة السادسة والستون في المصحف الشريف)

٦٢- ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ (التحريم: ١٠) ٢٤٠

٦٣- ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (التحريم: ١١) ٢٤٣

سورة الملك:

(وترتيبها السورة السابعة والستون في المصحف الشريف)

٦٤- ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبّٗا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيّٗا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (الملك:٢٢) ٢٧٤

سورة المدثر:

(وترتيبها السورة الرابعة والسبعون في المصحف الشريف)

٦٥- ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ (المدّثر: ٣١) ٢٥٠

٦٦- ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ (المدّثر: ٤٩-٥٢) ٢٥٤

- ثالثًا: الأمثال الأخرى المتعارف عليها ٢٥٧

أ - الآيات التي تجري مجرى المثل..... ٢٥٩

ب - الأمثال في الأحاديث النبوية الشريفة..... ٢٦٦

ج - ما ورد في كتاب الله تعالى مناسبًا لكلام وأمثال العرب..... ٢٦٩

المراجع ٢٧١